هويتي للناشئة

يوم الشهيد الكويتي

الغرسة السادسة والثمانون
أغسطس - سبتمبر 2016

الهوية
ALHAWIYA

حديقة الشهيد
حزام الوفاء الأخضر

الرجل الذي قاد النجاح

«واثق» غرساً للقيم

الهوية مفهوم يتقلب

الحرب غواية التاريخ

ISSN: 1728 - 5135

الديوان الأميري
مكتب الشهيد

الهوية

مجلة دورية تُعنى بتأصيل الهوية الوطنية مرتكزة على قضية الشهادة والشهداء بوصفها لُبَّ الانتماء ومادة الهوية

الغرسة 86
يوليو - أغسطس 2016
تصدر عن الديوان الأميري - مكتب الشهيد
دولة الكويت

رئيسة التحرير
فاطمة أحمد الأمير

مديرة التحرير
فايزة مانع المانع

سكرتير التحرير
عماد منصور المنصور

المراسلات باسم رئيس التحرير
مكتب الشهيد - الديوان الأميري
ضاحية مبارك العبدالله - قطعة ٧ - شارع ٥
ص.ب: ٢٨٧١٧ الصفاة ١٣١٥٨ دولة الكويت
بدالة: ١٨٨٨١٠١ - داخلي : ٣٠٨٤
مباشر : ٢٥٣٧٢٠٨٤
فاكس: ٢٥٣٧٥٤٨٩
www.martyr.com.kw

إخراج وتنفيذ وطباعة
النظائر
AL-NAZAER

بصمتنا 4

السور الرابع 18

من شهداء العروبة 21

من شهداء الإسلام 24

من رموز الحرية 28

هويتي للناشئة

صورة الغلاف
جانب من «جدارية الشهداء»
في حديقة الشهيد

متـــابعة 6

رؤيـــــة 36

حديقة الشهيد 12

مأثـــورات 46

قـــامـــة 32

لغويـــات 54

إنسانيات 64

بياضٌ لذاكرةٍ سوداء

«إن سرد تاريخ، ليس مجرد تكرار، ولكنه فعل واقعي من أفعال الإبداع» (روجر شانك)

بكل المقاييس هي ضربة في مركز القلب، وشرخ في عمق الوجدان، وفيض مرّ على ضفاف التاريخ العربي كله، بل تاريخ العالم، وغالبا ما تتجاوز الذاكرة محنها وإحنها، وتحاول التخلص من آثار آلامها ورمادها، ولا يتبقى إلا ما يجب أن يبقى، وما يضيء وما يفيد وما يُجمل وما يُعبر، وما يخلقُ فنا، وما يُعطي درسا، وما يشحذ همة، وما يُعلي للقمة، فما بالك عندما تكون هذه الذاكرة متشحة بالسواد ومسربلة بالدم، ذلك الدم الذي يحتوي المعنى كل المعنى، عندما تكون الفاجعة موازية لفقدان شامل للوجود والكينونة والهوية، وتكون التضحيات بحجم المأساة المثقلة بالضياع والانكسار والموت، ذاكرة من هذا النوع تتجذر بذاتها وتخلق روابطها التي تشد الناس إليها وعلى حدّ تعبير «بيير نورا» تُوقف الزمن وتعرقل عمل النسيان في تثبيت حالة للأشياء وفي تخليد الموت، ومن هذه الذاكرة الثابتة العميقة والخالدة يتم استرجاع الرؤى التى تَوحد الناس حولها، ويتم استخلاص أنقى المعاني، وأشرف القيم، وأنبل الصفات، وأخلص الرجال الذين لم يترددوا في تقديم أرواحهم في سبيل مبادئهم وقناعاتهم فخلقوا للبطولة نجومها، وصنعوا للشجاعة

بقلم : فايزة مانع المانع

fayzaalmane@yahoo.com

شعاراتها، وقدموا للتضحيات أوسمتها، فكانوا أقمار الذاكرة وشموسها بلا منازع، هم الشهداء مادة الذاكرة ودرس التاريخ الأول .

هكذا فعلت مأساة غزو النظام العراقي في الثاني من أغسطس لعام 1990 فقد منحتنا مساحات واسعة، وأبعادا مترامية، فتفتقت ذاكرة الخلق وتحولت بذاتها إلى إعلام لا يكف عن توليد المعاني وتكريس الوعي، وابتكار الجماليات، واستنهاض الكوامن المفيدة من قلب الحدث الضار، فهذه نفحات النور تغمرك وأنت تتأمل صرح الشهداء في حديقة الشهيد بلونه الأبيض الشفاف المضيء وكأنه يتبادل مع الأفق أنوارا علوية تتعاكس في تكثيف هالة من بياض تغمر الصرح المنتصب بشموخ في قلب الحديقة وكأنه ينثر معنى الأبدية، ذلك المعنى المضمر في قلب الذاكرة، والتي تُصرح بجلاء بتبدد الألم وبقاء الأمل وخلود الأثر، وعلى بعد أمتار من هذا الصرح المتألق حائط فني من جمال، جدار من عبق، حيث تتزين « جدارية الشهداء » بصورهم وأسمائهم، فتتأملها ببهجة من يتبادل الحديث معهم وهم يروون حقائق المجد والتضحية، ويشرفون على الذاكرة مؤكدين أنهم ما ماتوا إلا لكي نحيا ونستمر ونبدع هذا عدا المئات من اللوحات التشكيلية والقصص الإبداعية ومعاجم الشهداء في كتب الحيثيات، والفنون الموسيقية والشعرية والمسرحية والمتاحف والآثار المتخلفة عن هذا الحدث المرير والمُحتفظ بها كدلالات على حريق أسود تحول إلى حديقة غنّاء، وهكذا من قلب الأحزان تتدفق الأفراح، ومن تحت الرُكام يُرمم المكان ومن الموت تنبثق الحياة .

تحت إشراف الديوان الأميري المشروع التربوي الواعد....

«واثق» غرساً للقيم

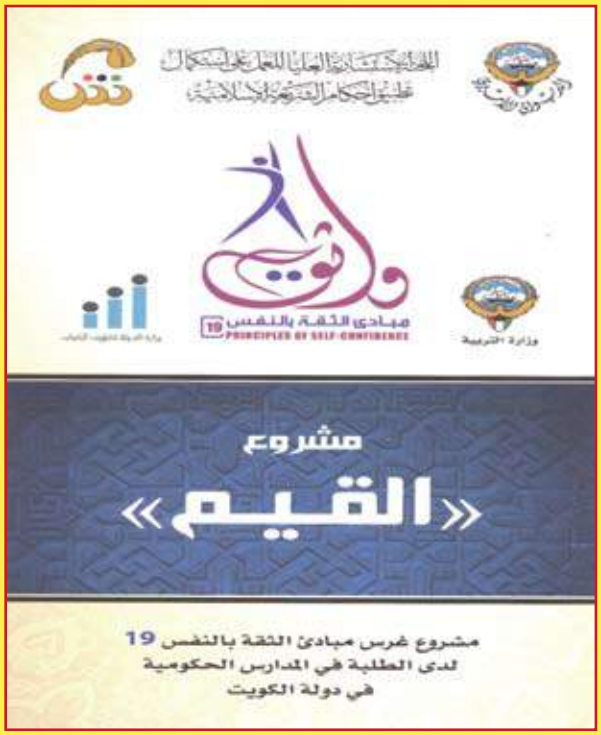

النفس البشرية سر عظيم من مكونات الإنسان، وعالم من عوالم هذا المخلوق الذي كرمه الله، وكلفه وحمله الأمانة وجعله الخليفة في الأرض، وإننا نجد أن كلمة النفس قد وردت في القرآن الكريم عشرات المرات، ومن الغريب أن الله جل جلاله أقسم بها في كتابه أكثر من مرة فقال: (ولا أقسم بالنفس اللوامة) في سورة القيامة، وقال في آية أخرى: (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) ﴿سورة الشمس﴾. ووصفت أحياناً بالتقية وأخرى بالفاجرة وباللوامة، وبالزكية، وبالمطمئنة والنفس الأمارة. قال الله تعالى في كتابه العزيز على لسان امرأة عزيز مصر (وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء) وبلغ من عظم أمر النفس أن الله ربط تغيير الحال وارتفاع البلاء وتحسن الأحوال بتغيير ما في النفوس، فقال جل وعلا: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم).

وكمقدمة لعرض (مشروع واثـق القيمي لتعزيز الثقة بالنفس) نقف قليلاً مع قوله تعالى: (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها)، قال الشيخ محمد علي الصابوني في كتابه مختصر تفسير ابن كثير عند حديثه عن هذه الآية: ونفس وما سواها أي خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة كما قال تعالى: (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله).

وهذا مما يؤيد قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة). قال عبدالله بن عباس حبر الأمة رضي الله عنه: فألهمها فجورها وتقواها: بين لها الخير والشر، وقال ابن جبير: ألهمها الخير والشر. قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها. أي قد أفلح

من زكى نفسه بطاعة الله، وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل . كقوله تعالى: (قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى). وقوله: (وقد خاب من دساها) أي أخملها حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله عز وجل. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم - عندما قرأ:

(فألهمها فجورها وتقواها) قال: (اللهم آتِ نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها). وفي رواية عند الإمام أحمد عن زيد بن أرقم قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقول: (اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والهرم والجبن والبخل وعذاب القبر، اللهم آتِ نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، وعلم لا ينفع ودعوة لا يستجاب لها). ويتبدى لنا من خلال هذا الحديث النبوي الشريف مدى اهتمام النبي - صلى الله عليه وسلم- بالنفس والعناية بها، والعمل على تعويدها على كل فضيلة، وتخليصها من كل رذيلة بدنية وخلقية.

من خلال هذه المقدمة المعتمدة على الآيات القرآنية والتوجيهات النبوية. نرى أن العناية بالنفس وتهذيبها، وتدريبها وتنميتها والنهوض بها وبث الثقة فيها أمر في غاية الأهمية، لأنها إن تركت للهوى غلب عليها الكسل والضعف والنزوع إلى اللهو والشر وعاشت مع الهواجس المخيفة، والأفكار المرعبة، والنزغات الشيطانية ورحم الله الإمام البوصيري حيث قال:

والنفس كالطفل إن تهمله شب
على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

لذلك كانت العناية بها، ومعرفة سبل تقويتها وتعزيز الثقة بها والارتفاع بقدراتها وإمكاناتها ومواهبها، ضرورية لبناء الجيل الجديد من الطلاب جيل المستقبل الواعد، الذي يحمل بين جنبيه الشخصية الكاملة الواثقة من نفسها، المعتمدة بعد الله على ما وهبها من قدرات وإمكانات وما منحها في هذه الأرض من خيرات.

ومن أجل بناء المواطن الصالح والطالب الناجح، والفتى الواثق من نفسه، المقبل على الحياه بإيجابية، كان مشروع واثق لتقوية الثقة بالنفس لدى طلبة المدارس الحكومية في دولة الكويت بمستوياتها الثلاثة الابتدائي والمتوسط والثانوي (بنين وبنات). وهو من المشروعات الهامة الذي قامت بإعداده وتنفيذه إدارة البرامج والمشاريع في اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة في الديوان الأميري بدولة الكويت.

ويقوم المشروع تحت مظلة رسمية تتألف من ثلاث جهات رسمية هي: اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة، ووزارة

رؤيتنا:

أن تكون القيم الرافد الرئيس لصقل شخصية الطالب في المراحل التعليمية الثلاثة، قيماً أخلاقية أصيلة لزمن عصري متغير، ويغرس مشروع (الثقة بالنفس 19) القيم التربوية تحت مظلة العمل التعاوني، من خلال مشاركة جماعية، لكل من المتعلم والمعلم وولي الأمر والإدارة المدرسية، وبمشاركة مجتمعية واسعة، مما يفتح الأبواب في وقت مبكر لقادة المستقبل.

والبرنامج يدعم مشروع القيم التربوية في وزارة التربية. وهو ترجمة لرؤية صاحب السمو الأمير الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح حفظه الله للاهتمام بتنمية النشء والشباب وقيمهم، وتحقيق السعادة والتميز.

رسالتنا:

فنحن مبادرة تربوية من أجل غرس الثقة بالنفس لدى الطلبة في كافة المراحل الدراسية، في المدارس الحكومية، من خلال تدريب المعلمين والطلبة، وتقديم استشارات للقيادات التربوية، من أجل بناء روح الفريق الواحد في المؤسسة التربوية وتكوين مجتمع متسامح بلا عنف ومشكلات.

المشروع ترجمة لرؤية صاحب السمو الأمير بتنمية النشء والشباب وقيمهم وتحقيق السعادة والتميز

«واثق» من إعداد وتنفيذ اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية وبالتعاون مع وزارة التربية ووزارة الدولة لشؤون الشباب

التربية، ووزارة الدولة لشؤون الشباب.

ومشروع واثق هو مشروع قيمي، يقوم على فكرة ترسيخ قيمة (الثقة بالنفس) من خلال برامج وأنشطة متنوعة في المدارس الحكومية.

والهدف العام للمشروع:

أن يكتسب المعلم والطالب مهارات التعامل مع الذات، ومع الآخرين، وتكوين شخصية متوازنة ما بين احتياجاتها الداخلية ومتطلباتها الخارجية.

والثقة بالنفس التي نريدها:

هي قدرة الفرد على الاعتماد على نفسه، واتخاذ القرار بذاته، وتمتعه بالعزيمة والإصرار، وإدراكه لكفاءته الاجتماعية والأكاديمية والجسمية، واستثماره لها.

وتعرف الثقة اصطلاحاً: على أنها (إدراك الفرد لكفاءته ومهارته وقدرته على التعامل بفاعلية مع المواقف المختلفة.

والاهتمام بالثقة بالنفس يكون لأمور عظيمة منها:

- الحفاظ على الحالة النفسية للفرد، وضمان عدم تقلب مزاجه بين حالات متناقضة، وتحصنه من الأمراض النفسية، وتجعله يشعر بالسعادة.
- القدرة على اكتساب القدرات العلمية والعملية.
- القدرة على تحويل العلم إلى عمل، والخبرة إلى إنجاز.
- الحصول على حب الناس، وحبه للناس.
- القدرة على مواجهة الصعاب وإعطاء المشكلة حجمها الحقيقي.

والفئة المستهدفة في هذا المشروع تتكون من:

- الهيئة التعليمية.
- الهيئة الإدارية.
- الطلبة.
- أولياء الأمور.

ومنهجيتنا في المشروع:

- (معرفة + مهارة + إدارة) وهي مستمدة من منهج الدكتور ستيفن كوفي.

وأما أدوات التعلم فيه. فهي:

- الاستماع، والفهم، والحفظ، والتطبيق والنشر.

ويعتمد المشروع في تنفيذه على الخطوات التالية:

- اختيار المدرسة، واختبار قدرتها على تطبيق المشروع.
- اختيار فريق العمل من الجهاز التعليمي والإداري.
- اختيار رئيس للفريق، وتوزيع الاختصاصات بين الأعضاء.
- إقامة ورش عمل ودورات تدريبية لفريق العمل في المدرسة حول الأسس والخطط.
- يضع الفريق خطته لعام دراسي كامل، وتبدأ الفعاليات والأنشطة والبرامج بإشراف ومتابعة الجهاز الاستشاري، مع تقييم دوري لها.

ونظام المشروع يقوم على أربعة أسس هي:

- العمل بنظام فرق العمل.
- الشراكة المجتمعية.
- مفهوم الاستدامة.
- مدير المدرسة مشرف ومستشار للمشروع.

ولقد لمسنا ومن خلال دراسة تقييمية لهذا المشروع آثاراً إيجابية في المدارس التي طبق فيها ومنها:

- ارتفاع مستوى التحصيل الدراسي لدى الطلبة.
- تقلص نسبة الطلبة متدني المستوى (المتعثرين دراسياً).
- التقليل من رهبة الاختبار.
- الحفاظ على أثاث ومرافق المدرسة من العبث.

وإن ما يسعى له المشروع بعد كل هذا التأصيل والترتيب والإعداد إنما هو غرس مبادئ الثقة بالنفس19. وهي:

1. **خالط الأشخاص الإيجابيين.**
2. **التركيز على الإيجابيات.**
3. **كن كريما في المجاملة.**
4. **الهوايات.**
5. **المخاطرة بشكل مدروس.**
6. **ارتداء ملابس مناسبة.**
7. **إعداد قائمة بالسلبيات والإيجابيات.**
8. **التعاطف مع الآخرين.**
9. **تجنب المواقف التي تنطوي على الضغط.**
10. **إدارة الأولويات.**
11. **تعلم أشياء جديدة.**
12. **انظر إلى النكسات بشكل بناء.**
13. **فكر قبل أن تتحدث.**
14. **ساعد الآخرين.**
15. **تعلم من التجربة.**
16. **خصص وقتا للتفكير.**
17. **ابدأ يومك بإيجابية.**
18. **الحوار.**
19. **نبذ العنف وتربية الغضب.**

- انخفاض كم المشكلات المرفوعة إلى الاختصاصي الاجتماعي.
- إذكاء روح المنافسة والتحدي، وتنمية الشخصية القيادية لدى الطلبة.
- تنمية الاتجاهات الإيجابية لدى الطلبة.
- الاندماج مع المجتمع المحلي، ومشاركته باتجاهات إيجابية وطنية.
- معالجة بعض الحالات النفسية مثل الانطواء والسلوك العدواني، وتقليل المشاكل السلوكية كالعنف الطلابي.
- ارتفاع نسبة حضور الطلبة لوجود نشاطات شيقة وجاذبة تهيء بيئة تعلم جاذبة.
- اكتساب المعلم والطلبة خبرات عملية وميدانية.
- اكتشاف المواهب الطلابية.
- ارتفاع معدل الثقة بالنفس.

وقد لقي هذا المشروع القيمي المبارك قبولاً وتشجيعاً حسناً وترحيباً من قبل كثير من الجهات وبخاصة المدارس الحكومية فتم تطبيقه في (100) مدرسة من المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية بنين وبنات ومازال الطلب على إدخاله في مدارس أخرى مستمراً. كما أخذت به وطبقته مدرسة الأميرة / الهيا بنت الحسين في إمارة دبي.

وفي ملتقى وزراء الشباب العرب المنعقد في شهر 12 2015 في الكويت تم عرض المشروع أمام الوفود المشاركة في الملتقى، وقد لقي استحساناً وتشجيعاً من الحاضرين، وتلقت اللجنة العليا المشرفة على المشروع دعوة لعرض المشروع في المملكة الأردنية الهاشمية. كما شاركت اللجنة بعرض مشروعها في مؤتمر حماية الطفل الذي أقامته وزارة الصحة بدولة الكويت في شهر 4 /2016م كما أعجبت جهات أخرى بمشروع (واثق مبادئ الثقة بالنفس 19) ورغبت في المشاركة فيه منها وزارة الأوقاف، ومكتب الإنماء، والشرطة المجتمعية بوزارة الداخلية.

وهناك لجنة عليا تدير المشروع برئاسة السيد عبدالرحمن المطيري مدير عام هيئة الشباب وعضوية الجهات المشاركة في المشروع.

● طارق عدي

«واثق» مشروع قيمي يقوم على فكرة ترسيخ قيمة الثقة بالنفس من خلال أنشطة متنوعة في المدارس الحكومية

تعزيز ثقة الفرد بنفسه ، واتخاذ القرار بذاته، وتمتعه بالعزيمة والإصرار، وإدراكه لكفاءته الاجتماعية والجسمية والأكاديمية من أهم أهداف البرنامج

نشرة «واثق» تصدر باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية

نظراً لتوسع مجالات عمل مشروع مبادئ الثقة في النفس ١٩ لدى الطلبة في المدارس فقد تمت طباعة نشرة «مشروع القيم» باللغة الإنجليزية والفرنسية إلى جانب اللغة العربية.

حصاد

حقق المشروع منذ انطلاقته، وفي فترة وجيزة، نمواً ملحوظاً وانتشاراً متميزاً، فقد وصل عدد المدارس التي انضمت اختيارياً للمشروع إلى 100 مدرسة، وبلغ عدد الطلبة الذين شملهم المشروع 46000 طالب، فيما بلغ عدد المعلمين والإداريين 7300 معلم وإداري، وهذه الأعداد مرشحه للزيادة نظراً للنتائج الملموسة التي حققها المشروع.

نتائج

حقق مشروع "واثق" جملة من النتائج والآثار الإيجابية، التي أدهشت المتابعين من أبرزها:

- ❖ انخفاض نسبة العنف في المدارس.
- ❖ ارتفاع مستوى التحصيل الدراسي لدى الطلبة.
- ❖ انخفاض نسب الغياب في المدارس.
- ❖ تقلص نسبة الطلبة المتعثرين دراسياً.
- ❖ تنمية الاتجاهات الإيجابية لدى الطلبة.
- ❖ ارتفاع معدل الثقة بالنفس.
- ❖ اكتشاف المواهب بين الشرائح المستهدفة.

بقلم :
فاطمة أحمد الأمير

الوكيل المساعد في الديوان الأميري
مدير عام مكتب الشهيد

يوم الشهيد الكويتي

تاريخ لا يليق إلا بهم..

الثاني من أغسطس يخصهم بكثافة ويعبر عنهم بجلاء، ويحتويهم بحنو ..

لا يمكن أن يمر هذا اليوم بدون حضورهم، ولا تتفتق الذاكرة إلا على صورهم، ولا يتضوع العطر إلا بالحديث عنهم ..

إن منحنا للثاني من أغسطس اسمهم كمن يعلق النجوم على شرفات المستقبل وكمن يشعل القناديل في دروب الأمل، وكمن يرفع رايات النصر في ميادين التنافس وكمن ينزع أشواك الفساد والإفساد ليزرع بدلا عنه شتلات الجد والمجد والإبداع متأملا نبتا أخضر يانعا يغمر مساحات القلب والوطن ..

هكذا يكون للثاني من أغسطس لونه ورسمه، هذا اليوم اللصيق بهم المزدحم ببطولاتهم العابق بأنفاسهم يشنف أسماعنا بلحن التحدي ويطربنا نداء المقاومة ونتباهى بفعل الأحرار وهم يضرمون النار في وجه الذل ويواجهون الخنوع بإرادة الإيمان ...

كان لا بد من اسمهم ليزين الثاني من أغسطس فمن غيرهم اعتنق المجابهة وامتشق الخطر وخرج ليواجه المحتل أعزّل إلا من عشقٍ يضطرم كالجمر في قلبه ومن قناعة تتدفق كالشلال في دمه ...

هو إذاً يوم الأبطال، كل الأبطال على مدى تاريخ الوطن، فقوة الإشعاع الذي يمتلكه ذلك اليوم حريّ بأن يشمل كل شهداء الوطن عبر الزمان والمكان ليشهدوا ويعلنوا أن وطنهم الذي عاد للحياة بعد ستة أشهر من الإعدام هو يوم لكل من ضحى من أجله ولكل من عمل له ولكل من استجاب لاستغاثاته، وأن البطولات التاريخية امتزجت جميعها في يوم واحد استيقظت فيه كل قيم الإباء وشيم الوفاء لتكون وقود المقاومين التي استلهموها من ذاكرة الوطن بأقوال وأفعال رجال الكويت العظام الذين ضحوا واستشهدوا من أجله وليكون الثاني من أغسطس بكل ثقله المعنوي والتاريخي يوماً لكل شهداء الوطن .

الامير وولي العهد يقصان شريط افتتاح الحديقة بعد التطوير

حديقة الشهيد

برغبة سامية... غدت أيقونة فريدة ومتنزها طبيعيا يحتوي مواقع ثقافية وتعليمية وترفيهية

حديقة الشهيد...

حزام الوفاء الأخضر

أحمد شتيوي

عندما توجهنا إليها - ولم نكن قد زرناها بعد التطوير - توقعنا أن نجد حديقة عادية كالتي تنتشر في المناطق الأخرى، لكن "الصدمة" الإيجابية بدأت منذ أن وصلنا إليها، وبالتحديد من مواقف السيارات، فتملكتنا الدهشة ونحن نتنقل بين أروقتها، تخطف أبصارنا مرافقها وما شيد فيها من نصب ومجسمات، وحتى في طريقة بناء الملحقات الإدارية فيها!

حديقة الشهيد، التي تقع في العاصمة، تحولت في ظرف سنتين إلى أيقونة فريدة في تنظيمها وترتيبها، ليس في الكويت فقط بل في المنطقة، ولا عجب في ذلك إذا عرفنا أن عمليات التطوير جرت بإشراف الديوان الأميري، وبرعاية سامية، كونها تمثل رمزا عظيما... الشهيد، فكان هذا الإبداع الذي لم يتوقف عند الإنشاء والتطوير، بل استمر في عمليات الصيانة والمتابعة، حتى غدت الحديقة نموذجا للمشاريع التنموية الرائدة.

عندما تصل إلى الحديقة، تحتار من أين تبدأ، فمساحة الـ220 ألف متر مربع التي تنتشر عليها مرافقها تناديك،

اللوحة التذكارية لجدارية الشهداء

الحديقة تعكس حرصا ساميا على تخليد ذكرى الشهداء

جدارية الشهداء تجاور الصرح التذكاري لهم وتتزين بصور وأسماء من ضحوا لأجل وطنهم

وتخطف ناظريك إلى كل جهة، لتكتشف مكانا يأسرك من "النظرة الأولى". فالحديقة التي أنشئت في شكلها الحالي، بناء على رغبة أميرية سامية، من خلال تطوير الحديقة المعروفة سابقا باسم «حديقة الحزام الأخضر»، من أكبر الحدائق العامة في الكويت والواقعة في قلب منطقة شرق، لتصبح مكانا خاصا لتكريم وتخليد ذكرى شهداء الكويت الأبرار، ولتكون متنزها طبيعيا تنتشر في أرجائه مواقع ثقافية وتعليمية وترفيهية. وتتويجا لهذا العمل الرائع، تشرّف المكان بحضور صاحب السمو الأمير الشيخ صباح الأحمد لافتتاح الحديقة رسميا في 2 مارس 2015.

صرح الشهيد

وجاء المشروع ليعكس الحرص السامي على تخليد ذكرى الشهداء وما قدموه من عمل بطولي تجاه وطنهم العزيز، وأن تكون الحديقة صرحا محليا بمعايير عالمية، ونجح الديوان في تأهيل حديقة الشهيد بالمساحات الخضراء والمرافق.

الحديقة تشتمل على العديد من المرافق والمباني والمسطحات الخضراء، ولعل ما يميزها ويجعل منها حديقة فريدة في الخليج والشرق الأوسط هو أن سقوف وجدران مبانيها الخارجية مكسوة بالنباتات الخضراء، مما جعل منها تلالا خضراء تشبه من الخارج الحدائق المعلقة، وبذلك تحولت منشآت الحديقة إلى مساحات خضراء وإلى نسيج نباتي معماري

فريد من نوعه يجعل الهواء أكثر نقاء.

وتم تصميم مرافق الحديقة لتكون جزءا مهما وأساسيا من المشروع، مخصصا ليضم الأنشطة التفاعلية داخل الحديقة، وتربط مكوناتها الداخلية بين أصالة الماضي وتطور الحاضر بحيث يرى فيها الزائر ماضيه القديم وحاضره، وهذه المرافق مزودة بأحدث التقنيات ووسائل العرض، لكل مرفق منها عدد من الملحقات والمكونات التي لا يضاهيها مثيل في الدول العربية. كما يهدف المشروع إلى الحفاظ على البيئة النباتية في الحديقة حالياً «وهي النباتات الطبيعية لدولة الكويت» مع تأهيل وتطوير أساليب الري والحفاظ على تلك النباتات بنسبة 90 في المئة، وإضافة العديد من الجماليات من شلالات وبحيرات صغيرة وغيرها ما يجعلها في مصاف الحدائق العالمية.

رحلة في الحديقة

الوصف قد يقصر عما يمكن أن يشاهده الإنسان، فأول ما تبدأ به مواقف السيارات التي أُنشئت بصورة مبتكرة، من خلال استغلال مساحة واسعة تحت المسطحات الخضراء، حيث تم إنشاء مواقف سيارات "دورين سرداب" تحت الحديقة تتسع لأكثر من 1000 سيارة، منظمة بتقنية حديثة تبين عدد السيارات الموجودة في

المسرح الخارجي بتصميمه وموقعه صار قبلة للأنشطة والفعاليات الفنية المحلية والديبلوماسية

بناء طبيعي

صرح الدستور التذكاري

250 الف زائر عام 2015

ذكرت دراسة متخصصة أن نحو 250 ألف مواطن كويتي قاموا بزيارة الحديقة عام 2015 وبمعدل 48 دقيقة للشخص الواحد، وهم يسيرون بين مرافقها وكان معظمهم تقريبا وبنسبة 97 في المئة قد أبدوا إعجابهم بما شاهدوه من إبداع معماري ومرافق فريدة. وتفوقت الإناث على الذكور في زيارتها، حيث كانت نسبتهن 68.5 في المئة، مقابل 31.5 في المئة من الذكور.

المواقف، والشواغر. ومنها تصعد بسلالم كهربائية إلى السطح، لتفتح لك الحديقة ذراعيها، حيث تجد عمال الخدمات كخلية نحل تعمل على الصيانة والتخديم، فتبدأ رحلتك مع مرافق الحديقة، ولعل أول ما يلفت الانتباه أن المباني الإدارية أخفيت تحت تلال خضراء، لا يمكن لمن لم يزرها من قبل أن يتوقع أن تحت هذه التلة أو تلك مبنى إداري لا يدل عليه إلا واجهته الأمامية، هذا عدا الممرات المنسقة بشكل دقيق وتحدها على جانبيها الأشجار المتنوعة والمسطحات المائية، بشكل جميل، وعلى امتداد الحديقة تسترخي المقاعد الفاخرة، المقاومة لعوامل الطبيعة تنتظر من يجلس عليها.

وبين هذه وتلك تنتشر المجسمات والنصب التذكارية، لعل أضخمها نصب الشهيد الذي يمثل المرفق الأكثر أهمية في الحديقة، بلونه الأبيض اللامع، وتجاوره جدارية كبيرة ازدانت بصور شهداء الكويت، وإلى جانبها اللوحة التذكارية لافتتاح النصب. ومن نصب الشهيد وجدارية الشهداء، إلى النصب التذكاري للدستور بلونه الذهبي الذي دشن بمناسبة 50 سنة على كتابة دستور الكويت، وليس بعيدا عنه لوحة معدنية جميلة تتشكل من خلالها حمامات بيضاء لتجتمع على صورة خريطة الكويت.

ومن مرافق الحديقة

المهمة المسرح الخارجي الذي احتضن كثيرا من الفعاليات الرسمية والشعبية، وأصبح مركزا مهما لنشاطات عدد من الجهات المختلفة، إضافة إلى مسرح داخلي مجهز بكل المستلزمات يستخدم في حالات الطقس السيئ. ويخترق الحديقة بالطول ممر خصص لممارسي الرياضة، ولوّن باللون الأحمر ويتلوى الممر في جوانب الحديقة ليعطي ممارس رياضة المشي أو ركوب الدراجات الهوائية مساحة من المتعة من خلال الالتفافات والتعرجات، وكأنه في حلبة سباق رسمية.

وفي الجهة الشمالية للحديقة تنتصب شبكة الطيور على شكل خيمة كبيرة، وضعت لتكون بيئة للطيور ولاسيما أن الشبكة أحيطت بأشجار متنوعة، وليس بعيدا عنها يوجد المنخفض المالح الذي يضفي على الموقع أجواء طبيعية. وإلى جانب المنخفض المالح مبنى خدمي ومسجد.

شجر الزيتون

لأول مرة في الكويت يمكن للزائر أن يجد شجرة زيتون، فللوهلة الأولى يتوهم الزائر أن الشجر المنتشر بكثرة تكاد تنافس شجر النخيل، أنها أشجار زينة، ولكن عند التدقيق يفاجأ بأنها أشجار زيتون، وقد بلغت مرحلة النضج، وهناك شجرة زيتون عند مدخل الحديقة الرئيسي يقال إن عمرها يتجاوز 500 سنة، ويبدو ذلك من جذعها

لأول مرة في الكويت تحتوي الحديقة أشجار زيتون مثمرة... إحداها عمرها مئات السنين

أشجار زيتون مثمرة في الحديقة

اللوحة التذكارية لافتتاح الحديقة

الضخم الذي تفرعت على جوانبه الفروع الجديدة للشجرة.

ولأن الحديقة واسعة ولا يمكن قطعها من أقصاها إلى أقصاها مشيا بسهولة وبفترة قصيرة، فقد خصصت إدارة الحديقة - التي تتولاها لوياك - مجموعة من سيارات "غولف كار" لنقل كبار الزوار وإطلاعهم على جوانب الحديقة كاملة. كما يوجد ضمن المرافق الخدمية مطاعم.

ولعل ما يعطي الموقع حيويته وجماليته، هو تعانق خضرة الحديقة ومرافقها مع معالم الكويت الحديثة من أبراج تجارية شكلت خلفية جدارية للمناظر الجميلة التي تجسدها جوانب الحديقة وهو ما تجلى من الصور الملتقطة لذلك.

أهم المرافق في الحديقة

- مجمع الذكرى.
- صرح الشهيد.
- اللوحة الجدارية للشهداء.
- ساحة الاحتفالات.
- بحيرة الحزام الأخضر.
- ساحة العلم.
- مبنى الإدارة.
- مركز الزوار.
- صرح الدستور.
- المسرح الخارجي.
- شبكة الطيور.
- المنخفض المالح.
- مرافق خدمية (مطاعم، حمامات، ومسجد).
- مواقف سيارات (دوريين تحت الأرض).

أشجار زيتون مثمرة في الحديقة

اللون الأخضر أينما اتجهت

المنخفض المالح في الحديقة

متحف الشهيد

تضم الحديقة متحف الشهيد الذي يصف أهم معارك الكويت «الرقة والصريف والجهراء»، وقد أغلق المتحف أمام الزوار للتطوير، ومن المتوقع أن يفتتح في الثاني من أغسطس بالتزامن مع ذكرى الغزو العراقي الغاشم، وهو موعد صدور العدد الحالي من مجلة الهوية.

مسرح للأنشطة والفعاليات

تحولت حديقة الشهيد بعد تطويرها وتحديثها إلى مسرح للعديد من الأنشطة والفعاليات المجتمعية والرسمية وحتى الديبلوماسية.

فقد نظم حفل موسيقي كويتي-أمريكي في الحديقة بمناسبة الأعياد الوطنية، تحت عنوان "الموسيقى توحدنا" شاركت فيه فرقة من الجيش الأميركي، إضافة لفرق شعبية كويتية. كما نظمت السفارة الهندية لدى الكويت «جلسة يوغا» في دائرة السلام بالحديقة في أبريل الماضي، احتفالا باليوم الدولي الثاني، فيما دشن «منتدى مساندة المرأة» أول منتدياته في الحديقة في مايو بعنوان «الاستدامة في ريادة الأعمال».

كما احتفلت وزارة الصحة بيوم الصحة العالمي من خلال ماراثون «كن نشطا» الذي نظمته في مارس، ضمن حرصها على التصدي لعوامل الخطورة المسببة للأمراض المزمنة غير المعدية لاسيما «داء السكري» الناجم عن زيادة الوزن، وقلة النشاط البدني والإفراط في تناول الوجبات الغذائية غير الصحية. كما نظمت العديد من الفعاليات الشعبية.

أوركسترا متجانسة لإدارة الحديقة

فيما اختارت «لوياك» يوسف البعيجان مديراً لحديقة الشهيد، وكلّفت فريق عمل معه شكّل أوركسترا متجانسة في عملها.

وقالت رئيس مجلس إدارة «لوياك» العضو المنتدب فارعة السقاف، في كلمة بعد تكليف الديوان الأميري «لوياك» بإدارة حديقة الشهيد، إن الاختيار «شهادة لنا بأننا قادرون على أن نوفر الكوادر الشبابية الوطنية الكفيلة بهذه المهمة»، متمنية أن «نكون على مستوى الثقة التي كلفنا بها الديوان الأميري».

وقالت السقاف «وضعنا مواصفات لمدير الحديقة بأن يكون كادراً وطنياً شاباً بخبرة كافية في إدارة المرافق، قادراً على التجديد والابتكار مؤهلاً لإدارة فريق عمل من الشباب، وأن يضع رؤية واضحة تتفق مع تطلعات الديوان الأميري من جهة، ومعايير لوياك في الإدارة والخدمة، من جهة أخرى».

وأشارت إلى أنه «تم اختيار يوسف البعيجان مديراً للحديقة، واختيار فريقه من الشباب الكويتي، أوركسترا متجانسة لأداء عملها على أكمل وجه، تحت إدارة لا تعرف المستحيل في العمل».

من المرافق المبتكرة استثمار أرضية الحديقة لإنشاء سرداب كبير لمواقف السيارات من دورين يتسع لأكثر من 1000 سيارة

الممر الأحمر لهواة الرياضة وممارسيها

نوافير الحديقة تعانق النهضة العمرانية الحديثة للكويت

نوافير ليلية

الشـــــهيد:
عبدالمهدي مهدي علي طاهر
الإيمان بحتمية الانتصار

كان الشاب الكويتي الواعد عبدالمهدي (1972 - 1990) «حديث التخرج في الثانوية العامة، كان يعد العدة لدراسة الهندسة في الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن الغزو الصدامي الغاشم غير كل خططه، بل مسار حياته بالكامل ليتحول من طالب علم يستشرف آفاقاً رحبة إلى مقاوم يتحدى الاحتلال ويجابه القهر، وينتظر النصر الذي كان يراه حتمياً وجديراً بالتضحية.

شارك في معركة كيفان مع أخيه حسين حتى يوم 1990/8/9، ليخرجا بعدها في زي باكستاني

الشهيد في طفولته

أخلاق وصفات عبدالمهدي

- وصف عبدالمهدي بعدة صفات حسنة كالشجاعة والقوة والبطولة والكرم والحنان وحسن العشرة والتميز في الدراسة والحب الشديد للوطن.

قرر عبدالمهدي في اليوم الأول من أيام الغزو الغاشم 1990/8/2م مقاومة المحتل وذهب مع أشقائه إلى مقر وزارة الدفاع للقيام بعمل ما والوقوف في وجه الطغاة ولكن الجنود هناك أبلغوهم عدم وجود أسلحة أو أوامر للقيام بعمل مسلح بيد أن عبدالمهدي لم يفقد الأمل وتوجه إلى معسكر اللواء 15 في منطقة صباح السالم حيث كان مقر عمل شقيقه حسين الذي يحمل رتبة رائد في الجيش الكويتي وكان موجوداً هناك وتسلم عبدالمهدي سلاحا ووقف إلى جانب أخيه يقاوم المحتل في ذلك اليوم المشؤوم حتى الساعة الحادية عشرة ليلاً عندما تلقى أمراً بالانسحاب بعد أن طوقت

ومع أصدقائه

قوات الاحتلال الصدامية ذلك المعسكر ولم تعد المقاومة مجدية عاد عبدالمهدي إلى منزله في منطقة كيفان التي تحصن بها عدد من الضباط والعسكريين والمقاومين الكويتيين وظلت عصية على جنود الاحتلال وآلته العسكرية مدة أسبوع لم يتمكنوا خلالها من اقتحام المنطقة.

في يوم الجمعة 1990/8/3 توجه عبدالمهدي بصحبة أخيه الرائد حسين إلى منطقة كيفان

كان عضواً فعالاً في خلية «مقاومة لجنة الشرفاء» وساهم في إحراق ثلاث دبابات للعدو وإعطاب عدد من الآليات

حيث كانت المقاومة هناك شديدة ضد المحتلين وكانت برئاسة العميد عبدالعزيز البرغش الذي كان يرتبط بالقيادة العليا في وزارة الدفاع كان عبدالمهدي يتردد على منزله خلال تلك الفترة وكان شقيقه الأكبر أسعد يخشى عليه لصغر سنة ولعدم توفر الخبرة العسكرية لديه ولكن رغبة عبدالمهدي في التصدي للغزاة والدفاع عن الوطن كانت أقوى من محاولات ثنيه عن قرار اتخذه ألا وهو مقاومة المحتل مهما كانت الظروف استمرت المقاومة في منطقة كيفان حتى يوم الخميس 1990/8/9 عندما تمكن جنود الغزو بعدتهم وعديدهم من السيطرة على المنطقة التي لم يكن يتصدى لهم فيها سوى عدد من رجال أبوا إلا أن يدفعوا ضريبة الدم والشهادة في سبيل الدفاع عن الوطن.

انسحب عبدالمهدي وشقيقه الرائد حسين إلى منزل في

المنطقة واستبدلا ملابسهما بزي باكستاني في محاولة تمويه للخروج من كيفان التي أطبق عليها جنود الاحتلال والعودة إلى المنزل في منطقة العمرية.

إن استخدام القوات الصدامية الأسلحة الثقيلة بما فيها المدفعية والدبابات وتفجير المنزل الذي كان يستخدمه رجال المقاومة الكويتيين لم يفت في عضدهم بل بدأوا يجمعون أنفسهم في خلايا ومجموعات مقاومة لم تخل منها منطقة من مناطق الكويت وهذا ما حدث بالنسبة للشاب حديث السن عبدالمهدي على طاهر فقد انضم إلى خلية مقاومة في منطقة العمرية وقد قام على تشكيل هذه الخلية عدد من الضباط الكويتيين وآخرون وأطلق عليها اسم خلية مقاومة لجنة الشرفاء كان عبدالمهدي من العناصر الفاعلة في هذه الخلية وساهم في إحراق ثلاث دبابات عراقية وأعطب إطارات إحدى آليات الاحتلال وحرص عبدالمهدي على جمع السلاح لاستخدامه وتوزيعه على أفراد المقاومة وقد استطاع بصحبة شقيقه الرائد حسين الحصول على الأسلحة من مقر وزارة الداخلية حيث ملآ سيارتيهما بالمسدسات والقنابل اليدوية كما حصل على أسلحة وذخيرة من معسكر في منطقة صباح السالم.

لقد تجاوز حرص هذا الشاب على جمع السلاح الحدود الكويتية وذهب مع أخيه إلى المملكة العربية السعودية والتقيا هناك بقيادات عسكرية كويتية وحصلا على كميات من الأسلحة والذخيرة استطاعا إدخالها إلى

ألقي القبض عليه وهو يوزع نشرة (رمز الشرفاء) في الفروانية، وانقطعت أخباره حتى العثور على رفاته في 2004/2/15

الكويت وكان الشهيد عبدالمهدي يحث الشبان على الانخراط في المقاومة والدفاع عن أرض الوطن وعدم الخضوع للمحتل وتشجيع عناصر المقاومة على الاستبسال وعدم الاستسلام للتعب أو الخوف والإيمان بحتمية الانتصار على العدو المحتل.

كان عبدالمهدي مستعداً للشهادة لتبقى بلاده وحكومته وأهلها ولذا كان جريئاً بمواجهة المعتدين فقد خاطب مرة عقيداً في الجيش العراقي قائلاً «أنا كويتي وأنتم ليش داخلين ديرتنا».

اعتقال الشهيد:

انشأت خلية «مقاومة لجنة الشرفاء» قسما لطباعة وتصوير وتوزيع المنشورات وأصدرت نشرة باسم «رمز الشرفاء» وهذه المنشورات كانت تحمل صور سموا أمير البلاد وسمو ولي العهد وعلم دولة الكويت وتحث الشباب على المقاومة وتندد بصدام وزبانيته.

شارك عبدالمهدي في طباعة وتوزيع المنشورات وكان مكلفاً بتوزيعها في منطقة الفروانية واجتهد عبدالمهدي في توزيع هذه المنشورات واستطاع توزيع كميات كبيرة منها سواء في الدواوين مثل ديوانية الخرينج والعلاج أو في المساجد وغير ذلك.

وفي يوم 1990/8/9 م بعد صلاة المغرب خرج عبدالمهدي مع ابن عمه لتوزيع المنشورات فواجهتهما نقطة تفتيش عراقية في منطقة الفروانية وعثر معهما على نشرة رمز الشرفاء وصور لسمو أمير البلاد فاعتقل جنود الاحتلال عبدالمهدي وابن عمه، ثم افتقدته أسرته وبحثت عنه في المخافر ولكن دون نتيجة وأفادت مصادر المعلومات عن رؤيته في العديد من المعتقلات بعد أسره في منطقة الجهراء وأخيراً تم نقله إلى سجن مديرية أمن البصرة في العراق وظل هناك خلال الفترة من 1990/8/20 وحتى 1990/11/20 وفي أثناء سجنه في البصرة وصلت معلومات إلى ذويه عن اعتقاله هناك وأنه قد حكم عليه بالإعدام ثم انقطعت أخباره حتى عثر على رفاته بتاريخ 2004/2/15 .

وأفاد الفريق الفني للأدلة الجنائية في إثبات استشهاده بالآتي: «تم العثور على إحدى رفات الأسرى الـ 605 وقد أثبتت التحاليل المخبرية تطابق الجينات مع إحدى الرفات التي تعود للأسير الشهيد/ عبدالمهدي مهدي علي طاهر من مواليد 1972 الذي كان قد أسر في الكويت بتاريخ 1990/8/9م وتعزى الوفاة لأسباب جنائية.

رحم الله الشهيد وأسكنه فسيح جناته

– من كتاب شهداء الكويت بطولاتهم وتضحياتهم «بتصرف». الجزء الثامن

وفي المدرسة

وفي إحدى الرحلات

ترك الجيش وانضم إلى صفوف المقاتلين في المدينة

الأردني الحنيطي

قاهر الهاغانا في حيفا

الشهيد محمد الحنيطي

يدرب ويقود أول مجموعات للمقاومة الفلسطينية

استقال وقال لغلوب باشا: أنتم من رسمتم حدود هذه البلاد هاك رتبك، فرتب الثوار أعلى

عبد الكريم المقداد

« أنتم من رسمتم حدود هذه البلاد، قبلكم ما كانت فلسطين ولا الأردن ولا لبنان ولا سوريا. قبلكم كنا نشتري من أسواق دمشق، ونشتّي على ساحل المتوسط. يا باشا، دفاعي عن حيفا هو دفاعي عن قريتي (أبوعلندا). هاك رتبك، فرتب الثوار أعلى". ذلك كان رده على قائد الجيش العربي الأردني بين العامين 1939و1956 غلوب باشا حين سأله، وهو يُلَوّح بتقارير جواسيسه في الهواء، «أنتَ أُردني يا محمّد بيك، ما لكَ وللفلسطينيين؟».

إنه الشهيد الأردني محمد حمد الحنيطي الذي ولد في بلدة (أبوعلندا) على أطراف مدينة عمّان عام 1913 لأب كان ذا سطوة في منطقته أيام الحكم العثماني، ولأم سورية أصرّت على تعليمه فدرَسَ على يد شيخ في الجامعِ الكبيرِ في عمّان، ثم تمكن بعد ذلك من إتقان اللغة الإنجليزية.

وقد استشعر غلوب باشا ذكاءه حين كان يزور العشائر ليأخذ من يناسبه من أبنائها جنوداً في جيشه، فالتقطه فورا، ليخدم بعد ذلك في صفوف الجيش العربي الأردني لعدة أعوام برتبة ضابط ميدان، تسنى له خلالها الدخول مع جيش الإنقاذ إلى فلسطين وكانت سريته في منطقة «فاينري» في حيفا .

وقتذاك، كانت المؤامرة الانجليزية- اليهودية قد أخذت مداها في الاستيلاء على الأرض بالقوة، وارتكاب مآسي التهجير والإبادة بحق الفلسطينيين، فصدم بالواقع المرير، كما صدم أكثر بتردي وتخاذل الجيوش العربية، وأدرك انحياز غلوب باشا، فصار يأخذ ما يقع تحت يده من سلاح ويورّده إلى الأهالي. بعدها، جمع جنوده وخطَبَ فيهم: «يا رجال، تخلعون لباسكم العسكريّ مساءً، تلبسون المدنيّ، وتدرّبون الأهالي على القتال». وما أن لوّح له غلوب باشا بتقارير جواسيسه عنه، حتى استقال من الجيش، وانضم إلى الثوار.

كان الحنيطي على اتصال وثيق مع المجاهدين والمناضلين

الحنيطي في المقدمة يسار وخلفه عدد من الأسرى الصهاينة

حين تناهى إليها الخبر، سكبت أمه دلال القهوة على الأرض وأطلقت الزغاريد

المحليين في المدينة ومحيطها، وكان مقرباً من أعضاء اللجنة القومية لمدينة حيفا، ولذلك دعوه فوراستقالته إلى قيادة حامية المدينة. ولما كان التشتت العنوان الأبرز لوضع المقاتلين في المدينة في ذلك الوقت، حيث كانوا ينضمون لتجمعات عديدة ويتبعون جهات كثيرة، وكانت الشكوى كبيرة من نقص السلاح، اشترط الحنيطي أن يتم تزويده بعدد ثلاثمائة «بندقيةE» وأربعمائة بندقية من طراز «تومي» واثني عشر مدفع رشاش (بون) وقنابل يدوية وثلاث سيارات وملابس عسكرية، فقبلت اللجنة بكل ذلك.

بخبرته العسكرية استطاع الحنيطي تنظيم المقاتلين، وتوحيد القيادة تحت إمرته، ثم عمد إلى تقسيم القوات إلى عدة قطاعات بحسب المناطق، ووضع على رأس كل قطاع مساعداً له، من القادة والمجاهدين القادرين على القيادة والقتال، وقام في الوقت نفسه بتكوين مقر للقيادة في منطقة تدعى «حمام الباشا»، وهو مكان قريب من «مستشفى الأمين».

لم يزد عدد المقاتلين معه على أربعمائة مجاهد، يستخدمون أسلحة في غاية البساطة والقدم، مقارنة مع تجهيزات العدو، لكنه كسب احترام وإعجاب المناضلين من خلال قدرته العسكرية في قيادة المعارك على أوكار العصابات اليهودية في مدينة حيفا،

ومن خلال تأمين بعض الأسلحة والذخائر عن طريق مهاجمة أوكار «الهاغانا» في حيفا، وشراء ما تيسر من أسلحة البريطانيين المنسحبين.

ففي بداية مارس قاد معركة حامية في «شارع فيرجن» بين حي الصليب والهدار، وتمكن من صد هجوم عصابات الصهاينة وقتل العشرات من العدو. وفي 14 آذار من عام1948 قاد معركة استمرت لمدة 18 ساعة، حيث تقدمت مجموعة من عصابات الهاغانا إلى معاقل المناضلين الكائنة في مناطق عديدة لكنهم تمكنوا من دحر الهاغانا، وتكبيدهم خسائر عديدة. كما اشتدت المعارك في أحياء أخرى تمكن المجاهدون خلالها من احتلال مناطق حساسة من معاقل عصابات الهاغانا في «الهدار كرمل»، وضواحي حيفا، لكن العدو فاجأ المدينة بهجوم سريع على موقع «الفاينري» سقط ضحيته 110 عمال من عمال الشركة، وعلى الفور طاردت قوات المجاهدين قوات الهاغانا، ودحرتهم الى «موتسكن» وأوقعت في صفوفهم60 قتيلاً.

وفي شباط 1948 تصدى القائد ورجاله لهجوم عصابات الهاغانا المتقدمة إلى قيادته مستخدمين الأسلحة الرشاشة، والقنابل اليدوية، وتمكن المجاهدون من محاصرة العدو، وقتل أعداد كثيرة من أفراده، وكان من بين القتلى قائد «قوات الأرغون» «بنحاس رام». وبعد هذه المعركة الحامية نقصت كمية الذخيرة لدى المجاهدين، وكثرت عمليات التفجير من العصابات الصهيونية في أحياء المدينة، وللحصول على الأسلحة ارتأى القائد الحنيطي السفر سراً لإحضار الأسلحة والذخائر من الهيئة العربية العليا في بيروت.

قافلة السلاح

في يوم 11/ 3/ 1948 انطلق الحنيطي يرافقه أربعة من الحرس في سيارة خاصة إلى اللجنة العسكرية في دمشق. وبعد وصولهم، وإطلاع المسؤولين في اللجنة على

حقيقة الوضع وما تحتاجه الحامية من أنواع الأسلحة تم شحنها في سيارتي كميون، وكانت تحتوي على السلاح والذخائر والألغام وكميات من مدافع وقنابل الهاون والهوشكس. وفي صباح يوم 17/ 3/ 1948م انطلقت القافلة عائدة إلى حيفا عن طريق بيروت، وحين وصلت إلى عكا حذّرهُ سُكّانها: «يا محمّد بيك، ربما علمَ الصهاينة عن قافلتك، هناك أخبارٌ عن كمينٍ لكَ في عين سارة قرب نهاريّا. انْسَ الطريق الساحلي فهي مقتلك. عُدْ إلى بيروت ومنها إلى دمشق فإربد فحيفا،طريق مساره ثلاثة أيام لكنه سينقذ حياتك». «أو اشحَن أسلحتك بالبحر» اقترح آخرون، «على الأقل، بِتْ عندنا الليلة».

قال محمّد بيك: «يا إخوان، حيفا بلا أسلحة. لن ينتظرها هؤلاء الأوغاد. إنّ مسّوها سأكون قد مِت حينها أيضاً. فَلأَمُت في حضنها، محاولا الدفاع عنها، بدلا من الموت متفرجاً عليها وهي تُستباح من بعيد».

واصلت القافلة مسيرها حتى مفرق «قريات موتسكن» حيث اعترضتها سيارات يهودية أدت إلى توقفها ووقوعها هدفاً لكمين محكم التدبير، وانهار عليهم وابلٌ من الرصاص والقنابل اليدوية. فأمر الحنيطي سائقه بالاندفاع، وكذا فعل سائق الشاحنة الأولى، لكنّ حاجز النار كان أقوى فبدأ الاشتباك. وأمام كثافة النيران المعادية، وخوفا من استيلاء العدو

محمود أبو سالم الناجي الوحيد من المعركة وحوله عدد من أحفاد الحنيطي

الرواية الإسرائيلية: مقتل الحنيطي كان الضربة الأعظم التي نزلت بالعرب في حيفا

حين كشفت الجثمان ورأت الثقوب في صدره قالت أمه: «بَطَلٌ يا وَلِيدِيْ، ما أَعْطِيتْ قَفَا»

على شاحنة الأسلحة عمد الحنيطي إلى إلقاء قنبلة يدوية عليها، فانفجرت بما فيها مخلفة دمارا غير مسبوق في المنطقة.

عن ذلك قال نجل الشهيد إن الناجي الوحيد من عملية تفجير القافلة، ويدعى محمود أبو سالم من عرب خضير من بني صخر، الذي كان مرافقا للشهيد الحنيطي في نفس السيارة أثناء مسير القافلة، حضر إلى منزله في فترة من الفترات، وحدثه عن تفاصيل العملية البطولية.

ويروي نجل الشهيد الحنيطي عن أبو سالم قوله: « عند دخول القافلة انقض عليها حوالي أربعة آلاف من عصابات الهاغانا، ومع بداية المعركة قتل جميع حراس القافلة برصاص قناصة الهاغانا، واستمرت المعركة أكثر من 3 ساعات وكانت حامية الوطيس وغير متكافئة، استشهد الجميع، وبقيت أنا والحنيطي الذي كان يحمل رشاشاً من نوع برن، وبعد أن أصيب، حاولت سحبه لإنقاذه، إلا أنه رفض، وأصر على تفجير الشاحنة، فتراجعت أنا للخلف، ثم ألقى الحنيطي بقنبلة داخل الشاحنة فتفجرت بحمولتها».

وروى أبو سالم أيضا لنجل الشهيد أنه ومن شدة الانفجار الذي وقع دمر مبنى مختبرات وايزمان الواقع في مستعمرة موتسكين، وهذه المختبرات هي التي تشكل نواة علماء إسرائيل العسكريين. بالإضافة الى مستودعات الذخيرة لعصابات الهاغانا هناك.

موكب الشهداء

انطلق موكب الشهداء من مشفى الأمين في حيفا ماراً بالبوابة الشرقية وسوق الشوام إلى (جامع الاستقلال)، وبعد الصلاة على أرواح الشهداء عاد الموكب بين التكبير والتهليل، إلى مقبرة الروضة حيث ووريت جثامين ستة من الشهداء، وأما جثمان الشهيد الحنيطي فأعيد إلى مستشفى الأمين، حيث تم نقل الجثمان إلى مدينة جنين ومنها إلى الأردن.

حين تناهى إليها الخبر، سكبت أم الشهيد الحنيطي دلال القهوة على الأرض، وارتفعت الزغاريد، وحين وصل جثمانه كشفت عنه ورأت صفًا من الثقوب في الصدر، فقالت: «بَطَلٌ يا وَلِيدِيْ، ما أَعْطِيتْ قَفَا»، قبّلتهُ على جبينه، وسارت الجنازة، حيث زحفت الجماهير من كافة المناطق للمشاركة في تشييع الشهيد من بلدته «أبوعلندا» إلى مثواه الأخير في مقبرة عمان، يتقدمهم كبار قادة الجيش وموظفي الدولة، ووجهاء العشائر ورفاقه في السلاح.

قال الإسرائيليون في روايتهم الرسمية عن النكبة، إن مقتل الحنيطي كان «الضربة الأعظم التي نزلت بالعرب في حيفا»، فيما يقول المؤرخ اليهودي بيني موريس إن موت الحنيطي «كان له أثر كبير في انهيار معنويات المقاومة المسلحة في حيفا»، بينما أورد أرشيف «سرايا التحطيم» الإسرائيلي المعروف بالـ «بالماح» أن هذا الأمرهو الذي ساعد على احتلال المدينة بالكامل بعد شهر.

الطيب المطيَّب

طـــارق عـــديّ

عمار بن ياسر بن عامر الكناني العنسي أبو اليقظان صحابي جليل من الولاة الشجعان أولي الرأي وحسن المشورة، وأحد السابقين الأولين إلى الإسلام، قضى شهيداً ، كما قضت أمه سمية وأبوه ياسر من قبل شهداء في مكة المكرمة في أيام الشدة والمحنة والاصطفاء، وكان من أول من جهر بالإسلام وشهد بالإيمان، ومن أوائل الرواد لدار الأرقم بن أبي الأرقم أول قلعة من قلاع الإسلام في الأرض، صبر وصابر وابتلي فما بدل ولا غير، ولما أذن للمؤمنين بالهجرة هاجر، وشهد بدراً وأحداً والخندق وبيعة الرضوان وغيرها، وكان صلى الله عليه وسلم يلقبه بالطيب المطيب، وفيه قال: (ما خير عمار بين أمرين إلا اختار أرشدهما). وشهد مع علي رضي الله عنه الجمل وصفين وقتل فيها وله يومئذ من العمر ثلاث وتسعون سنة وقيل أربع وتسعون.

يروي رضي الله عنه قصة إسلامه فيقول: لقيت صهيب بن سنان على باب دار الأرقم بن أبي الأرقم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيها، فقلت: ما تريد؟ فقال: ما تريد أنت؟ فقلت: أريد أن أدخل على محمد وأسمع كلامه، فقال: وأنا أريد ذلك، فدخلنا عليه صلى الله عليه وسلم فعرض علينا الإسلام، فأسلمنا وكان إسلامنا بعد بضعة وثلاثين رجلاً، وروى يحيى بن معين بسنده عن وبرةٍ بن همام قال: سمعت عماراً يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه إلا خمسة أعبد، وامرأتان، وأبو

ينتمي إلى أسرة الصبر والثبات على الحق، والتضحية والفداء في سبيل العقيدة

بكر رضي الله عنه، وقال مجاهد: أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، وبلال، وخباب، وصهيب، وعمار، وسمية رضي الله عنهم أجمعين، فأكرم بهم من رواد، وبارك لهم من طليعة رأت حقاً فأقبلت عليه، ونوراً فأنست به، وإيمانا وروحانية فأطمأنت وسكنت، ومن جاهلية عمياء هربت وعنها رغبت.

ولكن ما كان للكفر أن يرضى بذلك، ولا للجاهلية أن ترضخ للحق، وتسكت عن الخروج عن سلطانها، والاستعلاء على معتقداتها وأوثانها وجاهليتها وطواغيتها، وبخاصة حين يكون المتمسك بإيمانه، والمعتصم بعقيدته ودينه حليفاً في قريش وليس من أشرافها، فياسر والد عمار هو حليف بني مخزوم، وأم ياسر سمية بنت خياط كانت أمة من إمائهم أعتقت بعد إنجابها لياسر وأخيه، ولذلك نزلت بهذه الأسرة الكريمة أنواع من الأذى ومورست عليهم صنوف من العذاب لا تخطر على بال، ولا تتحملها الصخور الجلامد الراسيات، فعن ابن إسحاق قال: حدثني رجال من آل عمار بن ياسر أن سمية أم عمار عذبها هذا الحي من بني المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم على الإسلام، وهي تأبى غيره، حتى قتلوها. وهي آخذة بالعزيمة صابرة ثابتة لا تحيد عن ذلك حتى لقيت ربها.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مر بعمار وأمه وأبيه وهم يعذبون في الأبطح في رمضاء مكة يقول: «صبراً آل ياسر، موعدكم الجنة»، إنها أسرة الصبر والثبات وهي بحق أسرة التضحية والفداء في سبيل الدين والعقيدة.

ففي رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه مر بعمار بن ياسر وهو يبكي ويدلك عينيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما لك؟ أخذك الكفار فغطوك بالماء فقلت كذا وكذا، فإن عادوا لك فقل كما قلت، وفيه نزل قوله تعالى: «من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان»، وذلك حين أخذه المشركون فعذبوه، فلم يتركوه حتى سب النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه، فلما أتى النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما وراءك؟ قال: شر يا رسول الله ما تُركت حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير، قال: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئناً بالإيمان، قال: فإن عادوا لك فعد لهم.

وحكى حكيم بن جبير بن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: أكان المشركون يبلغون من المسلمين في العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟ فقال: والله إنهم كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر على أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي به، حتى إنه ليعطيهم ما سألوه من الفتنة، وحتى يقولوا له اللات والعزى إلهك من دون الله، فيقول: نعم، لما يبلغون به من الجهد.

عمار بن ياسر يمثل مدرستين، مدرسة العزيمة ومدرسة الرخصة

شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وأحدا والخندق وبيعة الرضوان وشارك في حروب الردة في اليمامة

إننا في الحقيقة عندما نقف مع هذه الأسرة الكريمة المباركة نقف مع أسرة الصبر والثبات على الحق وأسرة التضحية والفداء في سبيل الله والدين والعقيدة، ولقد كانوا يمثلون مدرستين في الصبر والثبات أولاهما مدرسة العزيمة والأخرى مدرسة الرخصة، وكلتا المدرستين رضيهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأثنى عليهما بل إن القرآن الكريم قد رخص في كل منهما فلا الثابت الصابر المصابر حتى يلقى الشهادة مخطئ، ولا المعطي لما يطلب منه من كفر في ساعات العسرة ملوم ما دام قلبه مطمئنا بالإيمان، فهذه سمية أم عمار عذبها هذا الحي من بني المغيرة على الإسلام وهي تأبى غيره حتى قتلوها وهي آخذة بالعزيمة صابرة ثابتة محتسبة لا تحيد عن ذلك حتى لقيت ربها.

وبالمقابل نرى عماراً رضي الله عنه أخذ بالرخصة وقلبه مطمئن بالإيمان فلم يلم على ذلك، وفي كلا الموقفين درس لمن ابتلي بالظالمين، فمن صبر وظفر ونال الشهادة فبها ونعمت، ومن أعطى ما يراد منه وقلبه مطمئن بالإيمان فقد أعذر، والله جل جلاله لا يكلف نفساً إلا وسعها، وفي كلا الأمرين فسحة لعباد الله المؤمنين المحتسبين.

إن صبر عمار بن ياسر رضي الله عنه لم يقتصر على ساحات الابتلاء والتعذيب في بطحاء مكة ووديانها، بل إن هذا الثبات والصبر،

وتلك الشجاعة والبطولة والتضحية امتدت وتألقت لتظهر في المشاهد والمعارك مع رسول الله في حياته، ثم في حروب الردة مع إخوانه من الصحابة الميامين، ثم في المواقف المشهودة إلى جانب سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فلعمار رضي الله عنه ذكر في الغزوات بدر وأحد والخندق وبيعة الرضوان، ذكر ابن إسحاق في تسمية من شهد بدراً من بني مخزوم فقال: «عمار بن ياسر وكذا أحداً» ، ومن أروع مواقف الشجاعة والبطولة التي ذكرت عنه كانت في يوم اليمامة، وذلك أن عماراً رضي الله عنه شهد قتال مسيلمة الكذاب، فروى نافع عن ابن عمر رضي الله عنه قال: رأيت عمار بن ياسر يوم اليمامة على صخرة قد أشرف يصيح: يا معشر المسلمين أمن الجنة تفرون، إلي إلي أنا عمار بن ياسر هلموا إلي، قال وأنا أنظر إلى أذنه قد قطعت فهي تتذبذب وهو يقاتل أشد القتال»، وكان بعد ذلك رضي الله عنه ممن صاحب عليا، وشهد معه الجمل وصفين، فأبلى فيهما بلاء حسنا، قال أبو عبدالرحمن السلمي: شهدنا صفين مع علي رضي الله عنه، فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ في ناحية ولا واد من أودية صفين إلا رأيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعونه، كأنه علم لهم. قال: وسمعته يوم إذن يقول لهاشم بن عتبة بن أبي وقاص: يا هاشم تفر من الجنة، الجنة

ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه أميرا على الكوفة، وآزره بعبدالله بن مسعود رضي الله عنه وزيرا وقال عنهما (إنهما لمن النجباء، أصحاب محمد، ومن أهل بدر).

شهد مع علي رضي الله عنه «الجمل» و«صفين» وهو فوق التسعين من عمره

تحت البارقة، اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه، والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا شعاب هجر، لعلمت أنا على الحق وأنهم على الباطل. وقال أبو البختري (وهو ممن حضر الموقعة) قال عمار بن ياسر يوم صفين ائتوني بشربة ماء، فأتي بشربة لبن، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن، وشربها ثم قاتل رضي الله عنه حتى قتل وكان عمره يومئذ أربعة وتسعين عاماً ودفنه علي رضي الله عنه في ثيابه ولم يغسله، وذلك تنفيذاً لوصيته حيث قال لما أصيب: «ادفنوني في ثيابي فإني مخاصم» يريد بذلك فئة معاوية.

إن الغرابة في هذه القصة ليست في الثبات تحت بارقة السيوف، ولا الصمود أمام هجمات وضربات العدو بقلب لا يعرف الخوف ولا الوجل، فإن هذا في الرجال موجود وعند الأبطال معروف، ولكن الغرابة والدهشة تعقد اللسان وتأخذ بالقلوب عندما نعلم أن هذا الأسد الهصور والبطل المقدام كان قد بلغ من العمر يومئذ أربعة وتسعين عاماً، فلله درك من صحابي ولله درك من صاحب حق يثبت ويجاهد من أجله وقد بلغ من الكبر عتيا.

نعم إنها وقفة مع الحق والتضحية في سبيله كان قد

أعد نفسه لها، ولم لا يكون كذلك، وهو الذي خاطبه رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبشر عمار، تقتلك الفئة الباغية، وهذا إخبار منه صلى الله عليه وسلم وإجازة له بأنه على الحق، وهي كذلك شهادة له بالشهادة في سبيله، وقد روي مثل هذا القول عن أم سلمة، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وحذيفة بن اليمان، وأيد ذلك وقواه أن عماراً تقتله الفئة الباغية، ما رواه عمارة بن خزيمة بن ثابت، قال : شهد خزيمة بن ثابت الجمل وهو لا يسل سيفاً، وشهد صفين ولم يقاتل، وقال: «لا أقاتل حتى يقتل عمار فأنظر من يقتله، فإني سمعت رسول

الله صلى الله عليه وسلم يقول: تقتله الفئة الباغية فلما قتل عمار قال خزيمة: ظهرت لي الضلالة ثم تقدم فقاتل حتى قتل، وقال عمرو بن العاص يوم قتل عمار كل يقول: أنا قتلته، إن يختصمان إلا في النار. وكما كانت بدايته رضي الله عنه درساً في الثبات على الحق كانت نهايته علما على الموقف الحق والإمام الحق الخليفة الحق علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ومن مكارمه أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو الحريص على مصلحة الأمة، والأمين على ما ينفع الرعية ويصلح لهم أمور دنياهم وأخراهم أنه نظر في صحابة رسول الله ليختار منهم من يوليه أمر الكوفة وهي يومئذ حاضرة من حواضر الإسلام، وثغر من ثغورهم المهمة على أبواب فارس، فما إن وقعت عيناه على عمار بن ياسر حتى اختاره لهم وكله ثقة بأنه وقع على القوي الأمين الذي يؤدي الأمانة ويقوم بالمهمة خير قيام، ولم يتركه وحده بل آزره وسانده وشد عضده بالصحابي الجليل والعالم القدير سيدنا عبدالله بن مسعود فجعله خازنا على بيت مالها، وكتب إلى أهلها كتابا يبشرهم فيه بواليهم الجديد، ويمن عليهم فيه ، فقال:

«إني بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً، وابن مسعود معلماً ووزيراً، وإنهما لمن النجباء من أصحاب محمد، ومن أهل بدر، وقد ظهر من تقواه وورعه في تلك الولاية والإمارة ما يعجب منه المرء، يقول بن أبي الهذيل وهو من معاصريه في الكوفة في أثناء هذه الولاية: «رأيت عمار بن ياسر وهو أمير الكوفة يشتري من قثائها، ثم يربطها بحبل ويحملها فوق ظهره، ويمضي بها إلى داره.

وقد عيره أحدهم وهو يومئذ أمير فيها فيقول له: «يا أجدع الأذن»، فلا يزيد على أن يقول له: «خير أذني سببت» في إشارة إلى أذنه التي قطعت يوم اليمامة.

وكما كان رضي الله عنه مدافعا عن الحق صابراً عليه، فقد كان كذلك عند صحابة رسول الله علما على الحق ودليلاً ومرشداً إليه، يقول أمين سر رسول الله حذيفة بن اليمان لما سئل بمن توصينا إذا اختلف الناس، فقال: عليكم يابن سمية فإنه لن يفارق الحق حتى يموت.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما خير عمار بين أمرين إلا اختار أرشدهما» ، وهو الذي استأذن على رسول الله فقال: «أئذنوا له، مرحبا بالطيب المطيب».

وبلغ من تباهي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمار أنه قال فيه: «إن عمارا ملئ إيمانا إلى مشاشه» وقال أيضاً رعاية لمكانته ومكانة والديه رضي الله عنهم أجمعين ومحذراً من معاداتهم والإساءة إليهم والنيل منهم: «من عادى عماراً عاداه الله، ومن أبغض عماراً أبغضه الله، ولما بلغه صلى الله عليه وسلم أن رجلاً لاحى عماراً وغاضبه قال: ما لهم ولعمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار إن عماراً جلدة ما بين عيني وأنفي» فحري بنا أن ندعو ونقول: اللهم حبب إلينا عماراً وارضه عنا واجعلنا ممن يحبه ويكرمه ويجله، كما كان يحبه ويجله صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعن خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه قال بعد أن استرضى عماراً واستسمحه بعد خلاف كان بينهما: فما كان شيء أحب إلي من رضى عمار فلقيته فرضي عني».

وله رضي الله عنه فضله في العلم وجهده وحظه في رواية الحديث النبوي الشريف والسيرة، فقد روى عنه من الصحابة علي بن أبي طالب، وابن عباس، وأبو موسى الأشعري، وجابر، وأبو أمامة وأبو الطفيل وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم، وروى عنه من التابعين ابنه محمد بن عمار، وابن المسيب، وأبو بكر بن عبدالرحمن، ومحمد بن الحنفية، وأبو وائل وعلقمة وغيرهم، وله رضي الله عنه في كتب الحديث ثلاثة وستون حديثا.

فرضي الله عنك يا سيدي يا عمار بن ياسر، شابا مسلما في السابقين الأولين، ومجاهداً في الغزوات والفتوح وقتال المرتدين، وعلما للحق في أوقات المحن والفتن، وراوياً ومعلماً وأمينا على حديث سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه والتابعين.

جون ماكري

الطبيب المقاتل

اشترك عام 1914 في الحرب ضد ألمانيا، وعين جراحا للكتيبة الكندية برتبة عقيد

حينما تتذكر بريطانيا وفرنسا وأمريكا وكندا ودول الكومنولث قتلاها في الحروب ، يقفون عند قبورهم بجلاء ووفاء لينشدوا قصيدة «حقول اللافاندرز»، وأضحت هذه تقليدا في كل بقاع الأرض . وشاعر هذه القصيدة هو الطبيب الكندي جون ماكري، الذي تعتصر حياته جملة من القيم النبيلة والإنسانية وتستحق أن تكون درسا للمقبل من الأجيال . ولئن كان الجمع بين مهنة الطب بكل مضامينها الإنسانية والحرب بحمولتها البغيضة والشريرة أمرا يبدو للوهلة الأولى متناقضا، فإنه في سيرة الطبيب الكندي متناغم ومنسجم لأقصى الحدود وصفحات حياته تبرهن على ذلك .

منصور مبارك

ماكري العسكري

ولـد مـاكـري في بلدة غوليف من أعمال أونتاريو في 30 نوفمبر 1872 وكانت عائلته صغيرة الحجم عمادها الجنرال ديفيد ماكري وجانيت سمبسون وأخـوان وأخت. يغلب على العائلة المتحدرة من أصـول أسكتلندية روح المحافظة والتدين، ولذلك جـاء جـون على هيئة رجل يـؤمـن بـإطـلاق في المبادئ والقيم الروحية ولكنه من جانب آخـر لم يكن متزمتا وخشنا في التعامل بل كان أصدقاؤه يصفونه بالرجل الدافئ والمرهف الحساسية الذي يبدي تعاطفا بالغا تجاه البشر والحيوانات. وقد شغف ماكري بالشعر منذ سن مبكرة وأخذ ينظم القصائد حين كان على مقاعد الدراسة، وأبدى كذلك ولعا بالعسكرية فانضم وهو في سن السادسة عشرة إلى سلاح المدفعية الكندي، وتـخـرج في تلك الـفـترة من المدرسة بتفوق فكان أول طالب من أونتاريو يحوز على منحة للدراسة في جامعة تورنتو.

ماكري الطبيب

كـان شـغـوفـاً بـالـشـعـر ويوصف بالرجل الدافئ المرهف الحساسية والذي يـبـدي تـعـاطـفـاً بـالـغـاً تجاه البشر والحيوانات

غير أن صروف الحياة لم تأت على هوى ماكري ومشتهاه، إذ أصيب بعد ثلاثة أعوام من التحاقه بالجامعة بمرض الربو الذي رافقه طيلة حياته. وقـد عشق مـاكـري العلوم والمعرفة فقرر العودة لبلدته وتدريس الرياضيات واللغة في كلية غوليف، وحرص في الوقت عينه على متابعة تعليمه فقرر الالتحاق بكلية الطب في جامعة تورنتو، وبعد تخرجه جمع بين العمل في المستشفى وتدريس الطب، وقام بتشجيع تلاميذه في مدرسة الطب وحثهم على متابعة تحصيلهم، ويسجل التاريخ بأنه أول من تخرج على يديه في اونتاريو طبيبتان. ولم يثنه عمله في الطب عن نظم الشعر وكتابة القصة القصيرة وحرص على نشر إنتاجه في العديد من

ماكري مع حصانة

في المستشفى التعليمي

المجلات.

وظلت علاقة ماكري بالجيش قائمة، حيث استمر في العمل بسلاح المدفعية وتدرج في المناصب حتى رقي إلى رتبة عقيد في العام 1896. وكان حريصا في الفترة نفسها على تطوير إمكاناته العلمية، فنال الوسام الذهبي من كلية الطب في جامعة تورنتو. فضلا عن ذلك عمل مع أخيه في مستشفى جامعة جونز هوبكنز الشهير حيث كان مقر عمل أخيه، وامضى هناك ثلاث سنوات. وكانت تنتاب ماكري مشاعر متضاربة بشأن الحرب، فكان مقتنعا بأن المرء يجب أن يقاتل في سبيل وطنه، فقرر الانخراط في حرب جنوب أفريقيا ولكنه في الوقت نفسه بعد مطالعة أحوال الحرب عن كثب تملكته الصدمة من مستوى الرعاية المتدنية للجنود الجرحى والمرضى .

وهجر ماكري العسكرية بعد أن حصل على رتبة عقيد ولم يرجع إليها إلا في العام 1914. وعند رجوعه إلى كندا عاد إلى ممارسة الطب حيث انشغل في الطبابة وتدريس الطب في الجامعة، وشهدت تلك الفترة نشاطات علمية قام بها، حيث سافر إلى إنجلترة وتابع دراسات تخصصية وحصل على الزمالة. وافتتح في العام 1905 عيادته الخاصة ولم ينقطع عن العمل بالمستشفيات وإلقاء المحاضرات فيها. وكان دائم الحضور للعديد من المؤتمرات في أوروبا ونشر العديد من

القصيدة بخط يده

اشتهر بقصيدة (حقول الفلاندرز) المعبرة عن ضحايا الحروب ويلاتها

البحوث في المجلات العلمية الطبية وكان مساهما في أحد أهم المراجع الطبية .

في أغسطس العام 1914 أعلنت بريطانيا الحرب على ألمانيا، وكانت كندا وقتها جزءاً من الإمبراطورية البريطانية وبذلك دخلت تلقائيا في الحرب، واستجاب سكانها لنداء الحرب، فانضم للمجهود الحربي خلال ثلاثة أسابيع ما يقارب 45 ألف كندي، وكان ماكري في عدادهم، حيث عين جراحا للكتيبة الأولى الكندية برتبة عقيد ،فانطلق لمهمته مصطحبا معه حصاناً يدعى بوفاير أهداه إياه أحد أصدقائه. وفي أبريل 1915 كان ماكري في الخنادق بالقرب من مدينة ييرب في بلجيكا في المنطقة التي كانت تسمى تقليديا « الفلاندرز » . وشهدت تلك المنطقة أشرس القتال في الحرب العالمية الأولى وبخاصة الموقعة التي سميت بمعركة ييرب الثانية.

وقتذاك استخدم الألمان غاز الكلورين السام ضد القوى المتحالفة في محاولة يائسة لتعديل كفة المعركة، وعلى الرغم من تأثير الغاز إلا أن الجنود الكنديين قاتلوا ببسالة وصمدوا في الموقع لأكثر من أسبوعين .وكان ماكري يجول في الخنادق ويرعى العشرات من الجرحى كل يوم. وكانت تلك فترة مأساوية فقد أحاط بماكري الموتى والمحتضرون، وفي رسالة لأمه قال بأن الوضع هناك مثل الكابوس، ولم نخلع ملابسنا لأكثر من

أسبوعين .

وقبل يوم من كتابة قصيدته الشهيرة، قتل أحد أصدقائه المقربين ودفن في أرض المعركة، وكان الخشخاش البري قد بدأ ينمو لتوه ويغطي القبور. ونظرا لشعوره الثقيل بعدم قدرته على مساعدة صديقه أو الآخرين ممن قتلوا، جعل ماكري ألسنتهم الصوت الناطق في القصيدة، وكانت تلك قصيدته قبل الأخيرة. وبعد كتابتها، تم نقله إلى المستشفى الكندي في فرنسا حيث أصبح مدير الخدمات الطبية. وكان المستشفى عبارة عن خيام كبيرة نصبت في العراء. وبعد ذلك نقل ماكري مع المستشفى إلى مبنى لأحدى الكليات في فبراير 1916 حيث كانت سعته ضخمة وتتضمن 6015 سريرا، وجلب إليه المصابون من مختلف الجبهات .

ترك القتال والخسائر أثرا عميقا في نفس ماكري، فاصابته بالمرارة والضياع، وانتابه شعور واهم بأنه كان يتوجب عليه أن يقوم بالمزيد من التضحيات، ولذلك عاش طيلة العام في خيمة مثل رفاقه في الخطوط الأمامية بدلا من المكاتب، وقد أثر ذلك على صحته من البرد فتم نقله إلى منطقة دافئة. وبالنسبة للكثيرين كان يقدم انطباعا بأنه يود البقاء مع سلاح المدفعية وبعد معارك بيرب المروعة لم يعد ماكري الرجل نفسه الذي كان معروفا بالتفاؤل والابتسام دائما. وقد أتاحت كتابة الرسائل والشعر

طابع بريد

مع صديقه Bonneau

لماكري فرصة الهروب من ضغط مسؤولياته المهنية في المستشفى. وقصيدته الأخيرة «الميت القلق» كانت صدى لقصيدة «حقول الفلاندرز» ولكنها لم تكتسب شهرة الأخيرة. وخلال العام 1917 أصيب ماكري بنوبات حادة من الربو وحالات الالتهاب الرئوي. وأصبح مريضا للغاية في يناير 1918 وشخصت حالته على أنها التهاب رئوي، وتم نقله في نوفمبر إلى المستشفى البريطاني للضباط حيث تدهورت صحته. وفي يناير بعد نوبة مرض شديدة لخمسة أيام مات من جراء الالتهاب الرئوي والتهاب السحايا. وفي يوم مرضه علم بأنه عين مستشارا طبيا للجيش البريطاني الأول، ويعد أول كندي يحصل على هذا التكريم .

وقد حظي جون ماكري بجنازة عسكرية مهيبة بمكان قريب من حقول اللافاندرز، وبسبب قصيدته أصبحت زهرة الخشخاش ترمز للضحايا الذين سقطوا في الحرب. وتتلى قصيدته حين يجري ذكر من قضوا نحبهم في الحرب .

قصيدة في حقول الفلاندرز «في حقول الفلاندرز يزهر الخشخاش بين الصّلبان المرصوفة صفّاً صفّاً، السّماء ذاك هو علامة مكاننا؛ وفي ما تزال القبّرات، مترنّمة دون وجل، تطير لا تكادُ تُسمَعُ وسط أصوات البنادق تحت! نحن الأمواتُ. وقبل أيام قلائلَ،، كنا أحياءً، أحسسْنا بالفجرِ، رأينا الأصيل يتألّق أحبَبْنا وأحببْنا، والآن نضطجع في حقول الفلاندرز. تابعوا معركتنا مع العدو من أيد خائرات نرمي الشعلة إليكمْ؛ وليكنْ لكم لترفعوه عالياً. وإنْ نقضتم العهدَ، نحنُ الذين نموت، فلا ننام، ولو أنّ الخشخاش يتكاثرُ في حقول الفلاندرز.

لا يكاد يذكر اسم مركز البحوث والدراسات الكويتية إلا واقترن به اسم الدكتور عبدالله الغنيم الذي وصفته دراسة حديثة : « تعكس تصرفات الغنيم وأفعاله عمق وطنيته غير المصطنعة وحبه لبلده الكويت». هذه العبارة في تقريظ الأستاذ الدكتور عبدالله الغنيم رئيس مركز البحوث والدراسات الكويتية ، جاءت في ثنايا كتاب مكرس لإسهاماته وسيرته العلمية والبحثية من إصدار الجمعية الجغرافية السعودية بالاشتراك مع جامعة الملك سعود . الكتاب بعنوان « عبدالله يوسف الغنيم جغرافي من جزيرة العرب »، من إعداد أ. د . رشود بن محمد الخريف الأستاذ بجامعة الملك سعود .

د . طارق عبدالله فخر الدين

د. عبدالله الغنيم الرجل الذي قاد النجاح

موسوعي الاطلاع والإنتاج قاد صرحاً علمياً متميزاً خدم تاريخ وطنه واستكمل به صورة النسيج التاريخي للكويت

ربع قرن من عمر مركز البحوث والدراسات الكويتية نجح خلالها من ترسيخ الهوية الوطنية في ضمير العالم

مسيرة الغنيم مع مركز البحوث والدراسات الكويتية

من بين الأمور الكثيرة التي يتناولها الكتاب تلك المسيرة المتميزة لمركز البحوث والدراسات الكويتية الذي تأسس برئاسة الغنيم في عام 1992 مباشرة بعد تحرير البلاد من براثن الاحتلال العراقي الغاشم. ومن بين أهداف المركز إعداد البحوث والدراسات المتعلقة بتاريخ دولة الكويت وشؤونها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتراثية، إلى جانب إنشاء مكتبة متخصصة في هذه المجالات وجمع الوثائق والدراسات المتعلقة بالعدوان العراقي على دولة الكويت.

كما يشرح الكتاب أن بدايات هذا المجهود تبلورت عندما كان الغنيم وزيراً للتربية في أثناء الاحتلال – وكان موجوداً مع زملائه الوزراء في الطائف، حينما بادر بتشكيل فريق عمل لإعداد دراسة تتناول أبعاد الأزمة العراقية الكويتية والوضعية التاريخية للكويت منذ نشأتها وعلاقتها بالدولة العثمانية .

واستطاع الفريق العلمي بإشراف الغنيم كشف الحقائق الموضوعية في مسألة

تجاوزت إصدارات المركز الثلاثمائة عنوان بمشاركة علماء وباحثين كويتيين وغيرهم

«رسالة الكويت» مطبوعة فصلية صغيرة ذات قيمة علمية كبيرة معنية بشتى جوانب تاريخ دولة الكويت من زوايا تحليلية إخبارية.

«الكويت وجوداً وحدوداً» إصدار علمي كبير بثلاث لغات، وزع 200 ألف نسخة في أنحاء العالم معرفاً بحقيقة دولة الكويت في مواجهة التزييف.

الادعاءات العراقية وتوضيح موقف الكويت من الأزمة. وقد صدر هذا العمل الكبير في كتاب بعنوان « الكويت وجوداً وحدوداً» بثلاث لغات هي العربية والانجليزية والفرنسية. ويعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر العلمية التي تناولت تلك الأزمة ووزع منه أكثر من مائتي ألف نسخة في أنحاء العالم، محدثاً تأثيراً كبيراً في تنوير الرأي العالم العالمي بعدالة قضية الكويت وزيف المزاعم العراقية .

كما أشرف في تلك الفترة أيضاً على إنجاز كتاب آخر من تأليف البروفسور ج .بي. سلوت رئيس الأرشيف الهولندي آنذاك تحت عنوان « نشأة الكويت» والذي صدر باللغتين الانجليزية والفرنسية عن دار النشر الشهيرة « بريل» في لايدن بهولندا وتمت ترجمته فيما بعد إلى اللغة العربية .

عبر حوالي ربع قرن من الزمن ممتد ليومنا هذا شهد مركز البحوث والدراسات الكويتية استمرار رئاسة الدكتور عبدالله الغنيم ورعايته الدؤوبة، والذي استطاع أن يرسخ وجود هذا الصرح وشموخه، وتقديم قضايا دولة الكويت وجوانب تاريخها في صورة جادة ومقنعة – ومشوقة أيضاً .

في هذه الفترة، تجاوزت إصدارات المركز الثلاثمائة عنوان بكثير، وذلك بمشاركة عدد كبير من العلماء والباحثين الكويتيين وغيرهم، وأصبحت مراجع للباحثين والدراسين من الكويت وخارجها. وغطت موضوعات الإصدارات موضوعات مختلفة تناولت تاريخ الكويت والدراسات الجغرافية والاقتصادية والبيئية، والتراث البحري والتجاري والثقافي، ودراسات خاصة بسير الشخصيات الكويتية.

«رسالة الكويت» أفق متجدد في «الإعلام التاريخي»

«رسالة الكويت » مطبوعة فصلية صغيرة الحجم وكبيرة في قيمتها العلمية تصدر عن مركز البحوث والدراسات الكويتية بإشراف الأستاذ الدكتور عبدالله الغنيم، وهي معنية بشكل أساسي بمختلف جوانب تاريخ الكويت، وقضاياه من زاوية إخبارية وتحليلية حيث ابتدأ صدورها في شهر يناير 2003، وما زالت منتظمة الصدور لغاية اليوم ويتم توزيعها على نطاق واسع .

هذه المطبوعة تعكس الاهتمام الكبير الذي يوليه

مركز البحوث والدراسات الكويتية لتعميم وتعميق الاهتمام بالمعرفة التاريخية لمختلف المراحل والجوانب المتعلقة بماضي الكويت وأحداثها السالفة والمعاصرة بهدف نشرها بين أكبر عدد من المتخصصين وعموم القراء، مع تحفيزهم على تزويد المركز بما قد يكون لديهم من وثائق ومقتنيات تاريخية تسهم في استكمال صورة النسيج التاريخي للبلاد.

كما تحتوي أعداد « رسالة الكويت » على الكثير من الصور الفوتوغرافية المستمدة من المصادر التاريخية والمجلات القديمة. وهذه الصور خاصة بحكام الكويت وشخصيات البلاد وأماكنها وتراثها، إضافة إلى صور لوثائق متنوعة تتعلق بتاريخ الكويت الحديث، المخطوطة منها والمطبوعة، ومعظمها باللغة العربية، مع بعض الخرائط والمصورات الخاصة بالكويت.

هذا وترتبط كافة موضوعات « رسالة الكويت » بتاريخ الكويت في معظم عهوده بشكل مباشر أو غير مباشر، منذ أقدم العصور لغاية الوقت الراهن، بما في ذلك الأحداث، والحكام والشخصيات السياسة، والتجارية والأدبية والأكاديمية، والمهتمون بالمقتنيات التاريخية، والرحالة العرب والأجانب، والوثائق المستمدة من الأرشيفات العالمية مثل الأرشيف البريطاني، والفرنسي، والعثماني، والروسي، إلى جانب وثائق محلية للأسر الكويتية التي كان لها شأن في تاريخ الكويت، ووثائق خليجية. كما تستمد «رسالة الكويت » بعض موادها من المصادر العالمية مثل الصحف الأجنبية مع ترجمتها إلى اللغة العربية، إلى جانب المصادر الإقليمية، مثل الصحف المحلية والخليجية والعربية.

سمو الأمير مستقبلا د. الغنيم

نجاح المركز في تغير النظرة التقليدية للتاريخ

واكب مركز البحوث والدراسات الكويتية بنجاح الاهتمام المتنامي بتوثيق تاريخ الكويت في الفترة التي أعقبت تحرير البلاد من براثن الاحتلال العراقي واستطاع بجدارة أن يحقق هدفه في تنمية الحس الاجتماعي للتاريخ من خلال قيام الأفراد بتقديم ما في حوزتهم من وثائق متنوعة أو إهداء مكتباتهم الخاصة إلى المركز وبذلك تحقق جانب مهم من جوانب الإحاطة التاريخية ألا وهو ربط المجتمع بالتاريخ من خلال الإسهامات المجتمعية بما يمهد لكتابة التاريخ الاجتماعي للدولة. علاوة على ذلك استطاع المركز أن يؤكد على الدور المؤثر للشخصيات العامة، والأسر التجارية على اختلاف اتجاهاتها، وارتباطها الوثيق بالأحداث التاريخية في تاريخ الكويت .

عبر جهوده المتواصلة، نجح رئيس المركز الأستاذ الدكتور عبدالله الغنيم بجدارة في استدعاء دور الزوار، والصحفيين والكتاب العرب، والأجانب في توثيق تاريخ الكويت والتسجيل الدقيق لفترات معينة من تاريخ البلاد، كما كشف لنا منهجهم في رصد وتفسير بعض جوانب

الحياة في الكويت في فترات مختلفة.

من خلال كل ذلك بلور المركز المفهوم الجدلي للتاريخ بأنه ليس فقط وعاء للماضي ولكنه أيضاً مسودة للحاضر ومرتكز للمستقبل. كما وفّق إلى تغيير النظرة التاريخية للكثير من الأمور، وتحريرها من الإبصار بزاوية ضيقة وإطلاقها إلى مجالات رحبة وذلك بتوسعة آفاق وموارد ونطاق المعرفة التاريخية.

وقبل كل هذا صب المركز اهتمامه على جمع كافة مخلفات الغزو الغاشم من وثائق عراقية تركها العدو وراءه لدى انسحابه. وشكلت هذه الوثائق مادة غزيرة لتوثيق الفظائع التي ارتكبها جنود الغزو العراقي في الكويت، كما تم استخدامها كأدلة دامغة تم تقديمها للمحافل الدولية شاهدة على الدمار الذي أحدثه العدو لكافة مقدرات البلاد.

ولا يمكن حصر كافة إنجازات المركز في هذه المساحة المحدودة، ولكنها بالتأكيد خدمت قضايا الكويت بشكل فعال في كافة المجالات .

جانب من حفل تكريم الدكتور عبدالله يوسف الغنيم تقديرا لحصوله على ثلاث جوائز محلية واقليمية وعالمية

الرجل الذي قاد نجاح المركز

منذ باكورة تأسيس المركز، نذر الدكتور الغنيم نفسه لتنشئة صرح متميز يخدم من خلال الكويت ووظف جميع علاقاته وكرس خبرته وعلمه في سبيل غرسٍ عملاق نراه ماثلا أمامنا اليوم يشع معرفة وعلماً .

الدكتور عبدالله الغنيم موسوعي الاطلاع والإنتاج العلمي وخاصة في مجالات الفكر الجغرافي بشكل عام والجانب الطبيعي منه بوجه خاص وكذلك البحث الموسع في مجال التراث العربي والإسلامي والتراث التاريخي لدولة الكويت، وله عشرات البحوث والكتب والإسهامات العلمية في هذه المجالات كما أنه حائز على عدة جوائز علمية محلية وإقليمية مرموقة، منها جائزة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي في مجال التراث العربي وجائزة الملك سلمان بن عبدالعزيز الدولية للدراسات والبحوث في تاريخ الجزيرة العربية، وجائزة الدولة في التراث العربي، وجائزة الملك فيصل العالمية لإنجازاته في مجال الدراسات الإسلامية والتراث الجغرافي عند المسلمين ،وغير ذلك من الأوسمة والجوائز وشهادات التقدير الرفيعة التي انهالت عليه من مختلف الدول العربية.

وهو كذلك عضو في عدة مجامع علمية عربية ودولية، ومشارك فعال في الكثير من الهيئات واللجان المحلية والإقليمية والدولية. وأبحاثه ودراساته منتشرة ومحل تقدير على نطاق واسع في الأوساط المحلية والعربية والدولية المعتنية بالتراث العربي والإسلامي والتاريخ المحلي. ولقد تولى حقيبة وزارة التربية بدولة الكويت مرتين، وابتدأ باكورة حياته مدرساً في جامعة الكويت ثم تدرج فيها، حيث أشرف على العديد من الإصدارات المتميزة في مجال الدراسات الجغرافية ودراسات الخليج .

ويمكن تلخيص شخصيته في الوصف الذي أورده عنه أ. د. عبدالله بن ناصر الوليعي أستاذ الجغرافيا الطبيعية بجامعة الإمام بالمملكة العربية السعودية وسطره في الكتاب المكرس للدكتور الغنيم : « إن الأستاذ الدكتور عبدالله يوسف الغنيم يمثل جيل الرواد من العلماء الحقيقيين الذين لا نملك إلا أن نتواضع لعلمهم وخلقهم الرفيع وقدرتهم المستمرة على العطاء».

الذاكرة الكويتية.. في زمن عولمة العوالم

بكتيريا القلق وهاجس الحداثة مسارات واقعية تتخذ من المفارقة مرآة كاشفة تعكس حجم الصراع وتناقض الأنساق

حســـــن حـامد

أين «الغواويص» الباحثون عن اللؤلؤ واستخراجه من أعماق البحار؟، وأين «الطواويش»، تجار اللؤلؤ الذين ملكوا الأرض طولا وعرضا؟، وأين «النواخذة» قادة السفن ومالكوها الذين شقوا البحار ليلا ونهارا؟، وأين القصص الدرامية التي تولدت في هذا الزمن الجميل وحملت الكثير من واقع الإنسان الكويتي؟، وأين التراث والبحر والنفط؟، أين القيم والتقاليد والأعراف المحافظة؟، لماذا غادرت الكويت تقاليد المجتمع القبلي، وغادرت أيضا قضايا من نوع الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي، والقومية العربية، والوحدة، وانشغلت مثل غيرها من البلدان العربية، بذلك العالم المملوء بالأحداث والمصائب والكوارث والتحديات؟.

علامات استفهام كثيرة تشغل بال الفكر الاجتماعي الكويتي في الألفية الثالثة، خاصة وقد كان للكويت في السنوات الماضية من القرن الواحد والعشرين نصيب وافر من التقدم المجتمعي فكريا وثقافيا وإبداعيا، مواكبة في ذلك التقدم العربي والعالمي، وقد بدا هذا التطور والتقدم نافذة للمعاناة، وكأن الأيام تعيد نفسها، حين انكشفت الثروة البترولية وتغير معها وجه الأرض، في المرحلة التي بدأت مع النصف الثاني من القرن العشرين، ليس في الكويت فحسب، بل في منطقة الخليج العربي برمتها، سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا ودينيا، ومثلما شهد منتصف القرن العشرين صراعا بين القديم والحديث، بين التراث والقيم والتقاليد والمبادئ القديمة، وبين القيم الحضارية والثقافية الجديدة، كان الصراع هذه المرة أعنف، تؤججه دوافع وعوامل داخلية وخارجية، حاول الغرب أن يدسها في المنطقة بأكملها، وكان التأثير والتأثر سحريا والتنقل سريعا.

نعم، كانت الكويت تملك تراثا أدبيا وفكريا وقيميا وعلميا وحضاريا ضخما، ومع تطور الآداب والعلوم وتبلور الاتجاهات والميول وتفتح القرائح والأذهان، أصاب هذا التراث

التغافل والتكاسل والأتربة، واختفى لمعانه وبهاؤه، وبدلا من أن يجد من يأخذ بيديه ليشق طريقه نحو التقدم والازدهار، طفت أوجه الحياة المستحدثة بقيمها وتقاليدها الجديدة وأخذت أشكالا متعددة لم تكن معروفة من قبل، مما أحدث فجوة كبيرة بين الماضي بتراثه وقيمه وتقاليده المحافظة، وبين الحاضر بتطلعاته الطموحة وقيمه وتقاليده الجديدة، وقد أصبحت قضية القديم وصراعه مع الجديد هي قضية المجتمع الكبرى التي ألقت بظلالها المثقلة على كاهل الجميع، مثقفين ومفكرين وعلماء وأدباء.

المنعطف التاريخي

وقد حملت الذاكرة الكويتية هذا المنعطف التاريخي، وظلت شاهدة على معاناة الإنسان الكويتي العصري، ليس من فقر أو عوز، وإنما من وطأة تلك المتغيرات الاجتماعية والسياسية والفكرية والاقتصادية، وتساءل المفكرون من أبناء الكويت: هل غياب التراث والنفط والبحر عن الذاكرة الكويتية الجديدة أفقدها هويتها؟، بمعنى هل ترتبط هوية الذاكرة الكويتية بهذا الغياب؟، وقد انقسم المفكرون في الإجابة عن هذا السؤال إلى ثلاثة أقسام، رأى الأول أنه إذا كان كثير من المبدعين تناولوا «كويت النفط» أو « كويت البحر» في أدبياتهم، ثم غاب ذلك سريعا في خضم أدبيات الألفية الثالثة، فإن الذاكرة الكويتية ستظل حتما، لها هويتها الخاصة، حتى وإن غاب عنها التراث أو البحر أو النفط، فالكويت ليست «نفطا» فقط، إنما هي إرث قديم، ونماء حديث، وهي ليست بمعزل عن العالم وتحركاته وتطوراته، هي المتغيّر دوما، نحو النماء والحراك، وإن تم ذلك بنكهات تشبهها، ومهما تغيرت لا تخرج عن هويتها الأصلية، وستظل تسكن روح الإنسان الكويتي العربي، بكل تفصيلاتها التي يعيشها ويتنفسها دون أن يعي.

واتجه القسم الثاني إلى تحليل وتأمل شكل الغياب، مؤمنين بأن هناك كتّابا شبابا تستهويهم حقبة ما قبل النفط، ولكن يعبرون عنها بشكل مغاير عن مبدعي الألفية الثانية، وهناك من تشغلهم فترة الغزو، ولكن الأمر يتعدى حيز المكان والزمان لأن العالم أصبح قرية واحدة، ولهذا فإنه ليس شرطا أن حضور النفط والبحر في الذاكرة الكويتية، يعطيها صفة «كويتية»، خاصة وأن التراث والبحر والنفط في نظر المفكرين المعاصرين لا يمثلون هوية الذاكرة الكويتية على نحو دقيق.

ونادى القسم الثالث بضرورة أن يغيب التراث والنفط والبحر، ورأوا أنه إذا كان هناك من يقوم حتى الآن بإعادة تناول النفط والبحر بمعالجات ورؤى جديدة، كجزء مؤثر في الكويت، وتستعرض هذه الرؤى تاريخاً قديما، فلا بأس في ذلك، لكن هناك اليوميات التي تصرع الجميع بأنيابها، وتعرض على الجميع عددا غير قابل للإحصاء، من الأفكار والمؤثرات والقضايا المعاصرة التي يجب أن يتناولوها ويخوضوا غمارها.

قالب فكري

وتأتي في مقدمة هذه القضايا: التوجهات الوجدانية، والقضايا السياسية المؤثرة والمستمرة، والضغوط الاقتصادية، وهناك الصراعات المتنوعة، وهناك العولمة التي لا يعرف معظم سكان المنطقة العربية كيف يسايرونها، وهناك عولمة العوالم، التي يسود فيها الصراع بين المدني والديني، وكلها قضايا وصراعات تشكل هواجس الذاكرة الكويتية من جديد، وتطرح تساؤلات تبحث بشكل جاد عن أجوبة، وتعتبر مواضيع دسمة لو تم بلورتها وترتيبها وصياغتها في قالب فكري حديث، لتمكنا من معايشة ذلك الواقع القائم على التحديات والصراعات، ولذا فإن غياب النفط والبحر أمرٍ طبيعي، لأنهما لم يعودا محوراً مؤثراً في حياة الأشخاص اليومية العادية، إلاّ لو تم طرحها بشكل معاصر، كالتعرض لارتفاع أسعار النفط، كمؤثر في ارتفاع تكاليف المعيشة في مختلف بقاع الأرض، أو استعراض التلوّث في البحر وتأثيره مع الاحتباس الحراري على حياتنا اليومية ومناخ الأرض، إلى غير ذلك وكلها قضايا معاصرة، ومن ثم لكي تنجح الذاكرة الكويتية في تجاوز معاناتها، يجب أن تركز على أكثر من التمسك بحقبة زمنية بالية.

وقد شكل تاريخ الفكر الاجتماعي الكويتي سلسلة متعاقبة من الأفكار والآراء والقيم والأيديولوجيات التي لا يزال تأثيرها واضحاً في كتابات علماء الاجتماع حتى وقتنا الحاضر، ففي كل أطوار التفكير الاجتماعي، كانت الهواجس والآمال والتطلعات التي راودت المفكرين والفلاسفة، هي نفسها في أغلب الأحيان التي تبلورت في أهداف «النقد» و«إعادة البناء»، نقد المجتمع أو إعادة بنائه أو على أقل تقدير إصلاحه، وهذا بلا شك هو التراكم المعرفي اللازم الذي يتيح للمجتمع تجاوز واقعه والولوج في مرحلة جديدة من تطوره الاجتماعي والسياسي والفكري.

من هنا انشغلت الذاكرة الكويتية في الألفية الثالثة، بفكرة التغيير الذي يلحق بالمجتمع العربي كل يوم والكويتي خاصة، في ظل التحديات الحديثة التي باتت تهدد الوجود والمصير، انطلاقا من أن الحياة بشكل عام باتت تتلون بالسلام حينا وبالصراع حينا آخر، وباتت بنية العلاقات والروابط الاجتماعية تتشكل بحسب أنماط هذا التغيير، متأملة مستحدثات العصر وكيف أن حركة التاريخ البشري والبيئي والحضاري باتت تتوالد، بحيث تولد حضارة من رحم حضارات أخرى انطفأت أنوارها، وتزدهر مجتمعات على أنقاض تقهقر مجتمعات أخرى، ومشددة على أهمية التناول السوسيولوجي المنهجي في دراسة الظواهر الاجتماعية والإنسانية، من خلال كل وسائل الاتصال الحديثة، فأصبح لتلك الوسائل وظيفة اجتماعية تتجاوز مجرد متعة القراءة أو المشاهدة، لاسيما في زمن عولمة العوالم، وتأريخ

الحداثة، على نحو يستوفي كافة الظروف والشروط والملابسات والأسباب والأبعاد والآثار المرتبطة بالتحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، في المجتمعات الغربية والعربية على حد سواء.

التناول المنهجي

وبالدوران حول هذا التناول المنهجي المحوري، بدا جليا التعارض والصراع القائم على المصالح والقوة والهيبة والثروة والسيادة، وكأننا أمام مدرسة الصراع الاجتماعي - في علم الاجتماع المعاصر - التي قدمها ماركس في تحليله لبناء المجتمع، ومن ثم اشتركت الأفكار جميعها حول فكرة محورية رئيسية هي الإقرار بأن الصراع حقيقة اجتماعية مؤكدة، ودار فحوى الصراع الاجتماعي من المنظور الفكري الإسلامي في معظم تلك الرؤى، حول محورين أساسيين هما: صراع الحق مع الباطل، وهو صراع معنوي أساسه المذهب العقائدي - الفكري، ثم صراع الرغبات والأهواء، وهو بدوره صراع أساسه الغرائز البيولوجية والنفسية وسببه المصالح المادية المختلفة.

كما انشغلت الذاكرة الكويتية المعاصرة بأزمات الإنسان المعاصر الذي يطمح إلى تحقيق قدر أكبر من الحرية السياسية والاجتماعية والعاطفية، فأصبحت تلك الذاكرة مشحونة ببكتريا القلق وهاجس الحداثة المعني بالتفصيلات الدقيقة، وقد تشعبت بها السبل في مسارات تتخذ من الأرضية الواقعية والمفارقة الكاشفة، مرآة للواقع تعكس الموقف المحدد من الصراع والعالم، واعتبر المفكرون أن ذلك يعد إحدى المميزات التي تميز بها الطرح الحداثي للواقع الاجتماعي للمجتمعات، ومن بينها الواقع الاجتماعي الكويتي، خاصة حين اتخذ نسقا مغايرا عن الأنساق التقليدية التي كان يتم فيها تقديم القضايا والمواضيع الاجتماعية بشئ من المباشرة والوضوح.

التوجهات الوجدانية، والقضايا السياسية، والضغوط الاقتصادية وصراع الديني المدني، هواجس تشكل الذاكرة وتطرح تساؤلات زمن العولمة

ولاشك فإن التعرف على الخلفيات التاريخية والاجتماعية للفكر الاجتماعي، هو المعين الحقيقي في الكشف عن القوانين التي تحكم تطور المجتمعات الإنسانية، والدور الذي لعبته الأفكار الاجتماعية والسياسية التي قدمها فلاسفة كل عصر والمهتمون بشؤون المجتمع الإنساني والمصلحون الدينيون، بوصفها جزءاً من المعرفة الاجتماعية والثقافة الإنسانية العامة، في تقدم هذه المجتمعات، كما تعين من ناحية أخرى في الكشف عن خصائص المجتمعات الإنسانية في كل مرحلة من مراحل تطورها التاريخي.

جواهر التاريخ الثمينة

وليس أكثر أهمية في هذا الإطار من أن يعود المفكرون الكويتيون، في مسيرة بحثهم في ذلك التاريخ عن جواهره الثمينة، إلى تراثهم وبحرهم ونفطهم، مع الإيمان الكامل بأن خاصية التغير الاجتماعي، هي التي تظهر العلم الاجتماعي وكأنه لا يزال يواصل اكتشافاته في محيط الحياة الاجتماعية، الأمر الذي تكون له آثاره التي قد يراها البعض معوقة لعملية نمو المعرفة العلمية الدقيقة المرتبطة بهذا المجال، وبالتالي تقلل من فرص الإنسان في السيطرة على شؤون حياته الاجتماعية، والإيمان كذلك بأن العلم الاجتماعي هو في الأساس علم نقدي، يكشف عن خصائص المجتمع والظروف المسيطرة عليه، والتي قد تعيق تقدمه أو تؤثر على نمط العلاقات السائدة فيه، إنه علم قد يساعد على الإصلاح أو حتى توفير الوقاية، وفي بعض الأحيان التجديد، من خلال الأفكار التي يطرحها حول مستقبل هذا المجتمع.

وكلي يقين وتفاؤل بأن معاناة الواقع الكويتي الراهن، وغيره من المجتمعات العربية الواقعة تحت تأثير زمن عولمة العوالم، يمكن أن تتبدل، ويمكن أن نجد حلولا عملية وعلمية للمشاكل والقضايا والتحديات التي تنشب أنيابها في جسد التقدم والاستقرار، وأن علماء الفكر الاجتماعي الكويتيين قادرون على أن تصبح الكويت منارة رائدة تقود العالم العربي نحو حقبة زمنية خالية من الصراع المجتمعي، في ضوء الطبيعة الإنسانية المتغيرة والمتطلعة إلى آفاق جديدة في شكل علاقاتها الاجتماعية .

للذاكرة الكويتية هويتها الخاصة، فالكويت ليست نقطا فقط، إنما إرث قديم ونماء حديث

أوبريت «الليلة المحمدية»...

صرخة من قاهرة المعز في وجه النظام العراقي من ذكريات الغزو الغاشم... اللهم لا اعتراض

أغلب الحضور في تلك الليلة من الشعب الكويتي في وقت كان مجرد سماع أغنية عن الكويت أو حتى سماع اسمها يجعل الدموع تتساقط والقلب يبكي

محمود متولي

بالرغم من مرور 26 عاماً على جريمة اجتياح النظام العراقي الآثم لدولة الكويت لايزال أوبريت «الليلة المحمدية» الخالد الذي أبدعه الشاعر المصري الراحل عبد الرحمن الأبنودي وصدح به سفير الأغنية عبدالله الرويشد بالتعاون مع عدد من فناني مصر عالقاً في الأذهان حيث كان بمثابة صرخة في وجه النظام العراقي المغتصب. في قاهرة المعز والتاريخ العريق وفي قلب العروبة النابض وأرض الوفاء والأوفياء سارع الأبنودي بتأليف هذا الأوبريت الذي قدم على مسرح دار الأوبرا المصرية تعبيراً عن نبض الشارع العربي، وتنديداً بهذه الجريمة النكراء التي اهتز لها وجدان العالم أجمع.

ونجح الأبنودي والرويشد والفنانون المصريون بهذا العمل الفني الخالد في إشعال الحماس من أجل مقاومة احتلال النظام العراقي والثقة بالعودة بقلوب أهل الكويت.

وكانت هي الليلة المحمدية السادسة ، إذ كان وقتها الإعلامي المصري الراحل وجدي الحكيم يحضر لهذه الليلة ، وعرض على الفنانة سعاد عبد الله المشاركة كممثلة بالعمل بينما يشارك الرويشد كمطرب ، رفضت «أم طلال» المشاركة في البداية ، ولكنها حضرت البروفات وجلست في آخر القاعة تشاهد بناء على طلب وجدي نفسه ، وبمجرد أن بدأت البروفات صعدت سعاد عبد الله على الخشبة وقررت المشاركة ..

والعمل كان من تقديم الإعلامي خيري حسن والملحن جمال سلامة، من شعر الأبنودي، تصميم الاستعراض حسن خليل، وتدريب الاستعراضات الدكتور هاني جعفر، والمخرج المسرحي جلال الشرقاوي والمخرج التلفزيوني شكري أبوعميرة .

وشارك سعاد عبد الله والرويشد التمثيل والغناء نخبة من عمالقة الفن في مصر منهم محمد قنديل، عفاف راضي، زينب يونس، محمد ثروت، محمد الحلو، سوزان عطية، محمد السبع ، وردة ، أشرف عبدالغفور ، محمد وفيق، محمود الحديني ، نادية رشاد، مديحة حمدي، ياسمين الخيام.

الأبنودي والرويشد وفنانو مصر أشعلوا الحماس من أجل مقاومة الاحتلال العراقي والثقة بالعودة

كندة الجاسم ...أبكت العرب فتصدرت صورها عناوين الصحافة المصرية

كان أغلب الحضور في تلك الليلة من الشعب الكويتي ، الشعب الذي اغتصبت أرضه واضطر أن يخرج من وطنه ، ويكون بعيداً عنه .. كان في ذلك الوقت مجرد سماع أغنية عن الكويت أو حتى سماع اسمها يجعل الدموع تتساقط والقلب يبكي .

إلا أن إحدى بنات الكويت كانت العلامة الفارقة لهذه الأمسية، فقد تصدرت صورها عناوين الصحافة المصرية، « بنت الكويت التي أبكت العرب» هي كندة يوسف عبدالحميد الجاسم، فقد بكت كندة في تلك الليلة على وطنها الذي حل به الغاصب وأبكت أهل الكويت بالداخل والخارج وبكى معها كل العرب بعد أسابيع قليلة من جريمة الغزو.

كلمات أوبريت «الليلة المحمدية»

اللهم لا اعتراض ياالله .. ياالله .. ياالله .. أشكو إليك .. أشكو إليك يا واهب النعم يا أقدم القدم إنت اللي اعلم باللي فيا من الم بلدي انظلم .. بلدي انظلم والي ظلمني ولاد عمومه ودين ودم .. كانوا مع الشيطان يا ربي على ميعاد واللهم لا اعتراض .. اللهم لا اعتراض .. اللهم لا اعتراض .. اللهم لا اعتراض .. ومدام يا ربي خلقتلي دمعي من حقي أبكي .. من حقي أبكي انشالله أبكي دم ومدام يا ربي خلقتلي صوتي ومدام يا ربي خلقتلي صوتي .. حاصرخ لو العالم حجر أصم .. يا أمة الإسلام .. خلص مني الكلام يا أمة الإسلام .. خلص مني الكلام لا عين شايفه حق .. ولا شايفه ملام .. لا عين بيتي وبيقول بيته .. اللي جه يعتدي ومسجد لله بنيته .. بيقول ده مسجدي .. سامحني يا الله .. حاتشق قلبي الآه .. الباطل الواضح .. في مسلمين تابعاه .. على دمي ماشيه وراه .. سامحني يا الله وهاوديني يا آه ..أنا في واد يا ربي وبلادي في واد .. أنا في واد يا ربي وولادي في واد .. أنا في واد يا ربي وفؤادي في واد .. واللهم لا اعتراض .. اللهم لا اعتراض .. اللهم لا اعتراض ..

الأكاديمي الكويتي براك الديكان

يحصل على الدكتوراه في العلوم السينمائية عن أطروحته:

الهوية في سينما مصطفى العقاد

مصطفى العقاد دافع عن الهوية الدينية الوسطية في فيلم «الرسالة» وخاطب العقل الغربي بعقلانية عصرية

د. نادر القنّة

المخرج السينمائي الأكاديمي الكويتي، الشاب براك عبدالرحمن الديكان، عضو هيئة التدريس بقسم الدراما التلفزيونية بالمعهد العالي للفنون المسرحية/ وزارة التعليم العالي، والمستشار بنادي الكويت للسينما، حقق مؤخراً إنجازاً علمياً له قيمته المعرفية والثقافية لصالح الحراك البحثي السينمائي في دولة الكويت والوطن العربي. وذلك بحصوله على درجة دكتواره الفلسفة في علوم السينما من قسم (الاتصال السمعي والبصري والإعلان الثاني) بكلية (السينما والإعلام) في جامعة (كومبلتنسي دي مدريد complvtensis) بإشراف البروفيسور خوسيه أنطونيو خمينيز. وذلك إثر دفاعه عن أطروحته المعنونة: (دور مصطفى العقاد في خلق هوية سينمائية عربية).

من جانب علمي أكاديمي تُعد هذه الأطروحة الأولى من نوعها في مسار البحث السينمائي العربي التي تركز بشكل مكثف على موضوع الهوية: السياسية، والدينية، والتاريخية، والقومية، بوصفه موضوعاً فكرياً في الوعي الثقافي العربي، يشكل أحد الدعامات الأساسية في صياغة الخطاب السينمائي العربي، وفي تكوين خصوصية السينما العربية المعاصرة، التي استفادت كثيراً في النصف الثاني من القرن العشرين من موروثاتها التاريخيّة والشعبية، ومنجزاتها الوطنية والقومية.

قام الديكان في بحثه باستحضار النماذج

السينمائية العقّادية الكبرى، وأخضعها تحليلياً لروح البحث العلمي، هاجسه في ذلك رسم خريطة معرفية لطبيعة مسار « الهوية» في سينما مصطفى العقاد، وهو الرائد السينمائي العربي، الذي حرص على تقديم خطاب سينمائي عربي بمواصفات عالمية، وفق معايير هوليوود. حيث نجح إلى حد ما في تغيير الصورة النمطية الغربية تجاه الإنسان العربي، وتجاه هويته التاريخية والدينية والوطنية. مستفيداً بالطبع من تمكنه من تقنيات السينما العالمية.

فصول.. وقضايا بحثيه

قام الباحث السينمائي براك الديكان بتقسيم بحثه إلى ستة فصول رئيسة، وكل فصل يتناول العديد من القضايا البحثية – النظرية والتطبيقية – في السينما، وذلك على النحو التالي:

الفصل الأول: (تاريخ نشأة وتطور السينما في العالم). وقد اشتمل بوصفه التمهيد النظري للبحث على عدد من القضايا البحثية المتصلة بتأريخية السينما العالمية مثل:

– البدايات الأولى لظهور فن السينما كوسيلة من وسائل التواصل.

– نشأة السينما في القارة الأوروبية، وتميزها الإبداعي والتقني والجمالي في مناطق غرب أوروبا.

– نشأة وانتشار الفن السينمائي في الولايات المتحدة الأمريكية.

– تاريخ ومسار نشأة السينما الأسيوية وتمركزها في الهند والصين واليابان وإيران.

– تاريخ نشأة السينما العربية، وتمركزها في مصر، والخصوصية السينمائية العربية في النصف الأول من القرن العشرين.

الفصل الثاني، وهو فصل نظري بحت، جاء بعنوان: (العلاقة الديالكتيكية بين الثقافة والهوية)، وقد اشتمل على القضايا الثقافية التالية:

– الثقافة من زاوية ثيرومونولوجية.

– الهوية من زاوية ثيرومونولوجية.

– الجذور الثرمونولوجية للهوية الثقافية.

– دور الثقافة والفنون في بناء وتعزيز الهويات الوطنية والقومية والدينية والإنسانية.

– الهوية الثقافية في إطار مفاهيم العولمة.

المسار البحثي التطبيقي

في الفصل الثالث يتخذ الباحث براك الديكان مساراً بحثياً تطبيقياً، حيث يدرس « دور السينما في صيغة الهوية الثقافية» استناداً إلى مقاصد الصناعة وغايات الترويج والمخاطبة، بين طرفي المعادلة: المرسل والمتلقي. وذلك عبر محاور مختلفة مثل:

– العلاقة الديالكتيكية بين حرفية الصناعة السينمائية

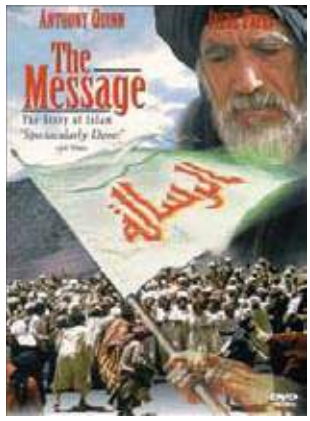

إشادة أكاديمية سينمائية أسبانية في جهود الديكان العلمية وإنجازه بحثاً غير مسبوق في السينما

وأُطر الهوية الثقافية.

– صورة الهوية الثقافية في السينما الأوروبية.

– صورة الهوية الثقافية في السينما الأمريكية.

– صورة الهوية الثقافية في السينما الأسيوية.

– صورة الهوية الثقافية في السينما العربية.

وفي هذا الفصل يتناول الديكان اشتغالات أهم المخرجين السينمائيين العرب الذين ساهموا بشكل فاعل وإيجابي في بناء الهوية الثقافية في السينما العربية، ومنهم: يوسف شاهين، وصلاح أبو سيف، ومصطفى العقاد، وخالد الصديق بوصفه نموذجاً سينمائياً خليجياً اهتم بالموروث الخليجي.

أما الفصل الرابع في بحثه، فقد توقف فيه الباحث بكثير من التفصيل عند السيرة الذاتية للمخرج العربي الراحل مصطفى العقاد. حيث حمل عنوان: (المخرج العالمي مصطفى العقاد في سيرته الذاتية) ودرسه من الزوايا التالية:

– مصطفى العقاد، العلاقة الجدلية بين النشأة والهوية.

– مصطفى العقاد في بداياته الدراسية الأولى.

3. الإرهاصات السينمائية في حياة مصطفى العقاد.

– دراسة العقاد لفنون السينما، والخبرات المهنية الأولى التي تحصل عليها في حقل هذا الفن.

– المؤثرات الفنية والفكرية والثقافية في حياة مصطفى العقاد، وخطوات الوصول إلى هوليود.

– الإنجازات السينمائية العالمية للمخرج والمنتج الراحل مصطفى العقاد.

فيلم الرسالة

في الفصل الخامس من بحثه ناقش الباحث براك الديكان موضوع الهوية الدينية في سينما مصطفى العقاد من خلال تناوله بالتحليل الفني والفكري لفيلم الرسالة. حيث قام:

– التعريف بالفيلم وظروف إنتاجه.

– استعراض فريق العمل من الفنانين والتقنيين للنسختين العربية والإنجليزية.

– عرض متسلسل لقصة

الفيلم، وعرض الوقائع وفق الترتيب الدرامي.

- عرض للأفكار والمضامين التي تضمنها الفيلم.

- التحليل الفني والفكري والجمالي للفيلم ارتكازاً على الصور المتباينة لموضوع الهوية الثقافية الدينية.

في هذا الفصل يتحدث الباحث عن الظروف الإنتاجية المعقدة التي مرّ بها الفيلم نتيجة العثرات التي واجهها في الحصول على التمويل المناسب من الجهات الداعمة له. ويقول: لقد واجه العقاد مقاومة من هوليوود لإنتاج فيلم يتحدث عن أصول الإسلام، فاضطر للسفر خارج الولايات المتحدة الأمريكية لزيادة تمويل الإنتاج. حيث تسبب نقص التمويل في وقف عملية الإنتاج، بعد أن انسحب الداعمون الأساسيون للفيلم وقد استغرق العمل في الفيلم في مرحلته الأولى أربعة شهور ونصف، وهي الفترة التي استغرقها بناء مدينة افتراضية في مكة، ومدينة افتراضية أخرى في المدينة المنورة. ثم جاء القرار بإيقاف التصوير في المغرب. لتعود ليبيا من جديد وتضخ أموالاً إضافية لاستكمال عملية الإنتاج والتصوير.

ويرى العقاد أن هذا الفيلم يسد الفجوة المعرفية بين الغرب والعالم الإسلامي، الذي يشكل الدين الإسلامي مظاهر هويته الثقافية والدينية. ويقول: (كوني

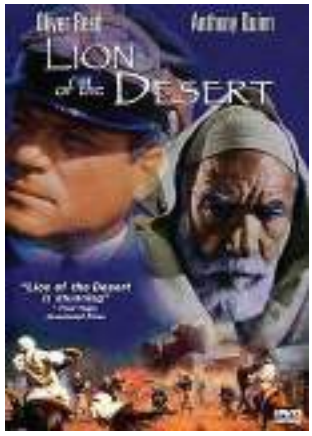

فيلم عمر المختار يعري الفكر الاستعماري ويعلي من شأن التمسك بالهوية العربية والهوية التاريخيّة

مسلماً عشت في العرب، فكان لزاماً عليّ أن أظهر الحقائق حول الدين الإسلامي، إنه الدين الذي يتبعه حوالي 700 مليون شخص، ومع ذلك فقد أدهشني أنه لا يوجد إلا القليل ممن يعلموا عن هذا الدين. لقد فكرت أن أُقيم جسراً للتواصل لسد هذه الفجوة بين العالم الإسلامي والغرب».

قام فيلم الرسالة على الأسس والثوابت والحقائق والوقائع التاريخيّة التي تؤكد على صياغة هوية ثقافية وهوية دينية جديدة في مجتمع صحراوي عربي. دفعته عبر المنطق والحجة والبيان إلى ترك عبادة الأصنام، والتوجه إلى عبادة الله الواحد الأحد. وهنا ثمة تفكير وطول تأمل، وحوار مع الذات، وحوار مع الآخر.. فالهوية الجديدة، تدفع العقل إلى التفكير، وتنقذه من كارثية الجاهلية والتخلف. وتبعث فيه روحاً جديدة، لمواجهة الواقع، ورسم آفاق المستقبل. ليس هذا فحسب بل إن هوية الدين الجديد كما بينها الفيلم تغرس في قلب المسلم حالة من الإيمان والطمأنينة، ليستقر القلب، عند منطق التوحيد، ويؤسس لعلاقات اجتماعية وسياسية واقتصادية جديدة قوامها الفهم الصحيح للدين الجديد.

من هنا ركز العقاد في فيلمه على القيم الدينية السامية العُليا التي يحملها الإسلام، وفي مقدمتها أنه دين التسامح، والعقل، والحوار. وليس دين العنف والجبروت كما يتخيل العقل الغربي.. فالإسلام هو دين المحبة والتواصل، والنقاء، والصدق، والطهارة.. فهويته لا ترفض الآخر، بل تقبله، وهويته ليست انغلاقية، بل هوية مفتوحة على الهويات الأخرى، فهو ليس ديناً انتقائياً، وبالتالي، فإن هويته الثقافية ليست انتقائية.. بل ديناً كونياً، وهوية كونية.. يلتقي في إطارها وعلى قاعدة الدين الحنيف كل الأجناس البشرية. كانت هذه رسالة العقاد في فيلم الرسالة.

فيلم أسد الصحراء

في الفصل السادس من بحثه ناقش الباحث براك الديكان موضوع الهوية السياسية والهوية التاريخية في سينما مصطفى العقاد من خلال تناوله بالتحليل الفني والفكري والجمالي لفيلم « أسد الصحراء» حيث قام بالآتي:

- التعريف بالفيلم وظروف إنتاجه.

- استعراض فريق العمل من الفنانين والتقنيين.

- عرض مسلسل لقصة الفيلم في تركيبته الدرامية.

- عرض لأهم الأفكار والمضامين التي تضمنها الفيلم.

- التحليل الفني والفكري والجمالي للفيلم ارتكازاً على الصور المحمّلة بطبيعة الهوية الثقافية القومية ودلالاتها السياسية. والمحملة كذلك بطبيعة الهوية التاريخية وما تعكسه من دلالات سياسية وفكرية.

النسخة الإنجليزية من هذا الفيلم حملت اسم «أسد الصحراء» فيما حملت النسخة العربية اسم « عمل المختار». تمّ انتاج هذا الفيلم في العام 1981، وهو يجسد مراحل الثورة الليبية التي قادها

عمر المختار ضد الاحتلال الإيطالي لبلاده في النصف الأول من القرن العشرين. بدأ تصوير الفيلم في الرابع من مارس للعام 1981، وهو يجسد مراحل الثورة الليبية التي قادها عمرالمختار ضد الاحتلال الإيطالي لبلاده في النصف الأول من القرن العشرين، بدأ تصوير الفيلم في الرابع من مارس للعام 1979 في مواقع الأحداث الحقيقية التي جرت فيها، وفق ما تشير المصادر التاريخية. وتشمل: المنطقة الصحراوية التي تبعد 64 كم عن مدينة بنغازي، وفي منطقة الواحات، بالقرب من مدينة « أوجلة» وفي الجبل الأخضر شرق ليبيا، وانتهى التصوير في أكتوبر 1979، وقد تمّ أول عرض للفيلم في الرابع من إبريل للعام1981 في دولة الكويت، كما تم عرضه في الشهر نفسه في الولايات المتحدة الأمريكية. اشترك في تمثيل هذا الفيلم حوالي 250 ممثلاً، قاموا بتجسيد العديد من الأدوار الأساسية والأولى والثانية والثالثة، بالإضافة إلى 5000 كومبارس. وقد تضمنت قائمة الممثلين من : أمريكا، بريطانيا، استراليا، فرنسا، إيطاليا، اليونان، يوغسلافيا، أسبانيا، مالطا، مصر، لبنان، تونس، السودان، سيرلانكا، بالإضافة إلى ليبيا.

يركز مصطفى العقاد في فيلمه هذا على حركة النضال الشعبي التي قادها الثائر

توجيهات مخرج فذّ

البحث يشكل إضافة معرفية في حقل العلوم السينمائية، وحقل علم الاجتماع السياسي الذي يحفل بموضوع الهوية.

عمر المختار ضد الاحتلال الإيطالي. مبيناً أنّ أساسيات هذا النضال تقوم على ثراء الهوية التاريخية والهوية الدينية والهوية السياسية/ القومية التي يتمتع بها عمر المختار ورفاق دربه في المقاومة. فهو يناضل من أجل تثبيت أركان هويته السياسية القومية العربية التي عمل الاحتلال الإيطالي على انتزاعها. ويدافع عن هوية وطنه العربي، كما يدافع عن هوية جذره العربي التاريخيّ في المكان الذي ينتمي إليه.

وفي الوقت نفسه فإن نضال عمر المختار ينطلق من هوية دينية إسلامية. وهي الهوية التي تفرض عليه الجهاد ضد الاحتلال الذي جاء لامتصاص خيرات الوطن وإلغاء هويته، وتكريس مفاهيم العبودية والتخلف والتبعية.

الدفاع عن الهوية

في بحثه سرد الباحث براك الديكان قصة الفيلم على النحو التالي:

« في عام 1911 تحتل القوات العسكرية الإيطالية ليبيا، سرعان ما تتشكل ردة فعل وطنية مجموعة من الثوار المحاربين بقيادة المدرس عمر المختار لمقاومة الاستعمار الإيطالي، وتبدأ عملياتها العسكرية بأسلحة بدائية في نصب كمائن أو في مواجهات مباشرة تتطور المعارك وتستمر وبوتيرة متصاعدة يكبد فيها عمر المختار الإيطاليين خسائر كبيرة ورغم كل قوتهم تراهم يعجزون في القضاء عليه حتى صار اسمه مصدر قلق ورعب عند الجنود الإيطاليين وعندما يصل « موسوليني» إلى سدة السلطة في إيطاليا عام 1922 يتسلم ملف هذا الثائر الذي أعجزهم وقضّ مضاجعهم فيقرر سحق ثورته، فيرسل أكثر من ضابط ليقضي عليه لكن النتيجة تكون كمن يحرث في ماء وفي عام1929 يستدعي موسوليني أحد أبرز ضباطه المعروفين بحزمهم وجبروتهم وبقسوتهم الجنرال (غراتسياني) ويقول له: إن الإيطاليين الجنوبيين – يقصد الفلاحين، الذين أرسلناهم إلى ليبيا يكلفوننا كمن يقيم في فندق خمس نجوم- وكان موسوليني ينظر إلى الفلاحين الطليان على أنهم عبيد: سأعطيك ليبيا يا جنرال فإما تعود إلى بعمر المختار أو تكسر رقبته من هذه اللحظة يُشعل المخرج مصطفى العقاد فتيل فيلمه، لتملأ نيرانه كما نور ثورة المختار أحداث الفيلم الذي تنتهي صراعاته يوم 11

سبتمبر 1931 بوقوع عمر المختار أسيراً بيد القوات الإيطالية حيث يُعدم، في معركة كأنها بين جيشين نظاميين استخدم فيها الطليان لأول مرة الطيران الحربي للقضاء على ثورة هذا المناضل العربي الذي قال للجنرال غراتسياني قبل أن يُساق إلى المحكمة ومن ثمّ إلى حبل المشنقة: حبلُ عدالتكم كان يتدلى أمامي دائماً يا جنرال».

ركز براك الديكان في بحثه على تحليل اللقطات الفيلمية التي تعزز من دور الهوية القومية والتاريخيّة في مواجهة الاحتلال الإيطالي لليبيا. حيث تضمن السيناريو منطقين اثنين، ليعكسا طبيعة هويتين، كلاً منهما في مواجهة الأخرى. هوية الاحتلال، وهوية المقاومة، لتتجلى في الفيلم جملة من الأفكار الإنسانية، التي تعلي من شأن الهوية القومية العربية المدافعة ع ن أرضها وميراثها وتاريخها وحقوقها ووطنيتها. أمّا الاحتلال فلا توجد أمامه غير الذرائع والأكاذيب. لذلك نجح العقاد في فيلمه هذا أن يضع المقدس والذي يشير إليه ترميزياً بالحرية والاستقلال والتمسك بالهوية القومية والتاريخية والإنسانية... مقابل المدنس، والذي يشير إليه عبر شخصية المحتل بالاستبداد، كل لحظة من لحظات هذه المواجهة، وفي كل لقطة من لقطات الفيلم صنع العقاد عبر كاميرته لحظة

البطل المجاهد عمر المختار

تنويرية تؤكد على عمق هويتنا القومية والتاريخية.

كادر وطنيّ

في إنجازه البحثي لهذا الموضوع، يكون براك الديكان قد نجح في إثراء المكتبة العلمية والسينمائية العربية بواحد من أهم الأبحاث، والذي بلا شك سيشكل مرجعية مهمة للدارسين والباحثين في حقليّ: العلوم السينمائية، والعلوم الإنسانية وبصفة خاصة علم الاجتماع السياسي الذي يولي موضوع الهوية في المجتمعات الإنسانية اهتماماً خاصاً، ويدرسها بشكل انثروبولوجي معمق، كما يدرسها في إطار المتغيرات السياسية والتقلبات الاجتماعية والاقتصادية.

هذا من جانب، ومن جانب ثان فإن هذا البحث يسد نقصاً واضحاً في البحوث السينمائية العربية المتصلة بإبداعات المخرج السينمائي العربي العالمي مصطفى العقاد، الذي ترك بين أيدينا إرثاً سينمائياً له قيمته الفنية والثقافية والفكرية والجمالية، وساهم بشكل مباشر في الارتقاء بمستوى السينما العربية لتصل في تجلياتها الإبداعية إلى مستوى السينما العالمية. فالدراسات حول هذا المخرج تبدو نادرة جداً قياساً بحجم ابداعاته السينمائية.

على ضوء ذلك تكون الحركة الأكاديمية العلمية ومعها الحركة السينمائية الكويتية قد كسبتا كادراً وطنياً كويتياً، قادراً على تحقيق العديد من المنجزات العلمية والفنية المتصلة بالبحوث السينمائية الكويتية والعربية، فالدكتور براك الديكان طاقة أكاديمية قادرة على إعطاء المزيد من الإنتاج إذا توافرت أمامه وله كل مقومات البحث العلمي. لذلك نأمل منه أن يقدم لنا في المستقبل القريب المزيد من الدراسات والبحوث العلمية في هذا المجال. وبخاصة ما يتصل بشأن الحراك السينمائي الكويتي.

ما يزيدنا اعتزازاً بالباحث الدكتور براك الديكان أن اللجنة العلمية الأكاديمية الإسبانية للعلوم السينمائية قد أشادت بالجهود العلمية التي بذلها الدكتور براك الديكان وتميزه الكبير في إنجازه لهذا البحث العلمي غير المسبوق.

تجلت وانجلت حقاً...
«اليلوة»
مليحة في معانيها

د. حمد الهباد

الجلوة : مصدرها الجلا: والجلا لغة : جلا القوم عن أوطانهم يجّلون وأجلوا إذا خرجوا من بلد إلى بلد، ويستخدم هذا المصطلح عند عشائر الأردن في حالة قتل أحد أبناء العشيرة تقوم عشيرة القاتل بالجلوة أي الخروج من مكان تواجد عائلة المقتول إلى مكان آمن بعيدا تحت معية عشيرة أخرى .كما يستخدم أهل نجد لفظة الجلوة عندما سادها الجوع وجفاف الآبار من المياه حيث نزحوا من نجد إلى الكويت والزبير . ويستخدمها العرب أيضا للعاسل فيقولون (اجتلاها) يعني العاسل جلا النحل عن مواضعها بالأيام وهو الدخان وقال أبو حنيفة : جلا النحل يجلوها جلاء إذا دخن عليها لاشتيار العسل، وجلوة النحل : طردها بالدخان .

وهو ما يتوافق مع معنى الجلوة في الكويت وهو الاستعداد لإظهار العروس من دار أهلها إلى دار زوجها، وتستخدم العرب أيضا لفظة جلا إذا اكتحل قال المنتخل الهذلي وأكحلك بالصاب أو الجلا ففتح لذلك أو غمض وتقول العرب للماشطة تجلو العروس وهذا أيضا ما يتوافق ومعنى الجلوة في دولة الكويت حيث يتم تزيين العروس بالكحل والتمشيط، وتقول العرب أيضا: وجلا العروس على بعلها، وجليت على زوجها، واجتلاها زوجها أي نظر إليها، وجلوت العروس جلاء وجلوة واجتليتها بمعنى إذا نظرت إليها مجلوة

والجلوة : تلفظ بلهجة أهل الكويت (اليلوة) أو (الجلة) وهي أحد أبرز الفنون التي تتخذها النساء دون الرجال، ذكرتها المصادر التاريخية ضمن قصة

مصعب بن الزبير وأم منظور، في أيام الدولة العباسية، فقد ذكر الدكتور محمد أحمد خلف الله في كتابه صاحب الأغاني 2: حديث أبي فرج قال : أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال : حدثني العمري عن هيثم بن عدي وأخبرني به ابن أبي الأزهر عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي، أن رجلا أنشد مصعب بن الزبير قول جميل :

من طقوس الأعراس

ما أنسى لا أنسى منها نظرة سلفت بالحجر يوم جلتها أم منظور

فقال : لوددت أني عرفت كيف جلتها، فقيل له إن أم منظور هذه حية، فكتب في حملها إليه مكرمة. فحملت إليه، فقال لها : أخبريني عن قول جميل : ما أنسى لا أنسى منها نظرة سلفت، قالت: ألبستها قلادة بلح، ومخنقة بلح واسطتها تفاحة، وضفرت شعرها، وجعلت في فرقها شيئا من الخلوف، فقال لها مصعب فإني أقسم عليك هلا جلوت عائشة بنت طلحة مثل ما جلوت بثينة ففعلت .

ولا شك أن الوصف الذي ذكرته أم منظور يتطابق ومعنى النص المستخدم في غناء الجلوة في دولة الكويت ويلفظ بمصطلح (جلة) أو (يلوه) حيث يقول:

حلوا ضفائرها وأرخوا شعرها سبلا على الأكتاف والأبداني
بالله مواخطها خذوا بيمينها وامشوا بها بمراتب الأحساني
لما مشت خدامها قدامها بمباخر العنبر وعود الباني
وألبسوها التاج فوق جبينها ونقطوها الدر والمرجاني

كما يشير ابن خلكان بقول الشاعر عبدالحكم المسلم الشافعي من القرن السادس الهجري وهو يستجلي زوجته:

سترت وجهها بكف عليه شبك النقش وهي تجلي عروسا
قلت : لم يغن عنك سترك شيئا ومتى غطت الشباك الشموسا

وأورد ابن سعيد قال: أخبرني أحمد بن عبيد بن عمار قال : حدثني اسحق بن محمد النخعي قال : حدثني الجماز قال ابن مار وحدثني به قليب بن عيسى قال : كانت جنان قد شهدت عرسا في جوار أبي نواس فانصرفت منه وهو جالس معنا فرآها أنشدنا بديها قوله :

شهدت جلوة العروس جنان فاستمالت بحسنها النظارة
حسبوها العروس حين رأوها فإليها دون العروس الإشارة
قال أهل العروس حين رأوها ما دهانا بها سواك عمارة

الأمر الذي يشير إلى قدم هذا الفن عند أهل الكويت فيمارسه النساء بالأعراس عندما تنذر والدة العروس عمل جلوة لابنتها العروس.أما عند البدو قديما في دولة الكويت فلا يختلف الأمر في تزيين العروس رغم أن مفهوم مصطلح الجلوة لا يوجد في أعراسهم .

ولا شك أن هذا الإرث العربي حضنته أرض الكويت عبر تلك السنين السالفة، وأصبح يمارس في مناسبات الزواج تحديدا إلا أن له خصوصية أن يعمل ساعة العصر قبل ليلة الزفاف ويكون نتيجة لنذر نذرته أم العروس لتحقيق هذه الغاية، وقد اشتهر كثير من النساء في أداء هذا اللون الغنائي. ورغم أن هذا اللون الغنائي أخذت شمسه بالأفول نتيجة لوفاة معظم مؤدي هذا اللون الغنائي ولم يعد يمارس في دولة الكويت إلا نادرا، فإن نصوصه الغنائية أيضا كتب عليها الضياع وعدم الحفظ الأمر الذي جعل صفحة تاريخية تطوى لمعرفة مثل هذا اللون الغنائي الذي يمتد عبر التاريخ ووصلتنا منه إشارات في الدولة العباسية .

ولفظة الجلوة عند بعض الطرق الصوفية لها مدلول آخر حيث يقصد به الجلاء والظهور والوضوح ومصدره عندهم التجلي وقد اشتقها الصوفيه عن الأية الكريمة بقوله تعالى: فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا . ويستندون إلى قوله تعالى قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو .

فمفهوم الجلوة عندهم عكس الخلوة التي ينادي بها الصوفيه وهي اختلاء المريد المبتدئ لمواجهة الشيطان حسب اعتقادهم وهو يظهر له بصورة ثعبان مرقط حيث يقاوم المريد هذا الشيطان أثناء خلوته بالذكر والتأمل فإذا إنتصر عليه يتجلى ويخرج من هذه الخلوة منتصرا .

وفن الجلوة المستخدم في الأعراس تحديدا هو فن عربي يمارس في منطقة الخليج العربي وفي شمال أفريقيا مثل الجلوة الصفاقسية في تونس نسبة إلى مدينة صفاقص والتي تقال كلماتها :

الجلوة أو اليلوة بلهجة أهل الكويت أحد أبرز الفنون التي تتخذها النساء دون الرجال في الأعراس وغالباً تكون لنذر نذرته أم العروس وتكون في فترة العصر قبل الزفاف بيوم

عرف هذا الفن في منطقة الخليج العربي وشمال أفريقيا خاصة تونس وليبيا وفي فلسطين

«الجلوة» عرضة للاندثار لوفاة أغلب من يؤدونها ولضياع معظم نصوصها الغنائية

الله كـــريم الله كـــــــريم الله ينصـــر الله يعين
هــذي الـعـروســه حســن زيــن بـيـضـاوتـهـا ذي الحنين
يالواقفه ما بين اثنين يا ناس قيموا عينيكم منذ خليقة مولاكم
بين الحما وقرة العين زغرطوا عليهم الأثنين جدها ما يسبها
عــالي الـسـمـا مـا يـخـيـبـهـا الله يـنـصـر الله يعين

وفي ليبيا وتحديدا في طرابلس تؤدى الجلوة للعروس بالكلمات التالية:

جـــانـا الـنـبـــــي وفـرحـنـــــا بـه سـلام الله عليه
والمـــــلائكة تتبـــــاشـر بيـــــــه سـلام الله عليه
يـا مـا أحـسـن الـصـلاة والـذكـر عليـه سـلام الله عليه

أما في فلسطين فتمارس الجلوة أيضا لمناسبة الزفاف حيث يصطف النساء صفين متقابلين وتسير العروس في الوسط ذهابا وإيابا ووجهها مقابل المعرس على أنغام الطبلة والدربكة والأغاني الخاصة بالجلوة ومن نصوصها:

إتمختري أســم اللـــه يا زينه يـا ورده جـوه جنينه
عقـــد القرنفـــل يـــا غـزالـه والفـل خيـــم علينه
قومي ادخلي قصـــرك العالي وقولي لعريسك يا حلالي
وأقضـــي الأيـــام والليـــالي وساعـــات وعيشه هنيه
قومي اطلعي اسم الله ع سريرك ابن الأكـابر عريســك
ربـــي يهنيـــك بعريســـــك آه يـــا حلـــوة يا شلبيه
وحيـــاة عريسي مـــا بطلع إلا بسبـــع جـــواري
أثنيـــن يمشـــــوا قدامـــي وأثنـين يمشـــوا وراي
وثـلاثه ينشـــروا لـي الأزهـار ورد ويـاسمين وعطريه

كما أن هناك مصطلحاً مشابها في فلسطين يطلق عليه التجلاية ويقصد به ظهور العروس للمعرس وتغنى بهذه المناسبة عدة نصوص منها:

قـومـي تجلـي وراك سـنـد وراك حـمـولـه بـتـعـمـر بلد
وراك أبـو فـلان وسـربـتـو محـلا ديـاتـو بـعـد الذهب

والجلوة في دولة الكويت انحصرت ضمن ميزانين محددين:

أولهما : القادري الرفاعي:

وينسج عليه نص يشتهر في منطقة الخليج في دولة الكويت ومملكة البحرين تحديدا:

أمـيـنـــه فـــــي أمـانـيـهـــا مـلـيـحـــة فـــــي معانيها
تجـــلـت وانجـــلـت حـقـــا ســـــألت الـلـــه يبقيهـــا
تحلت بالحـلـل والـتـــاج إلـيـــه خـاطـــري قـد هاج
فـيـا هـــاج أيهـــا المحـتـاج عسـى تنظـــر بمعانيها
جـبـين كـالـقـمـــر يـاضـــي ونـــور يشـفـي أمـراضـي
لـهـــا رب الـسـمـا قـاضـي فـــوالله خـاطـــري فيها
لـهـــا عـين كـمـــا غـزالـة وفـوق الخـــد لـهـــا خالة
خـلـقـــا جـــل إجـلالـــــه أبـو المـخـتـار حـظـى فيها
لـهـــا خـــد كـالـتـفـــــاح وريـحـه عـطـرهـا قـد فاح
ومـن يـنـظـرهـا فـعـقـلـه راح بـقـــى مـفـتـون هـــو فيها
لـهـــا فـــــاه كـالمحـبـــس وجـسـم نـــاعـم الملمس
نـطـق لـهـــا جـمـل أخـرس وحـــاروا فـــي معـانيها
لهـا شـفـــاة كـالمـــرجان فـحـــارت أنـسـهـــا والجـان
خلقهـا الـواحـــد المنـــان وحـــور العيـــن تجليهـا
لما كشف أبو النبـي عن وجهها أمر عظيـم ليس به إنسان
وجاء الجواري وأنثروا في مهدها واستبشروا بذا النبي العدنان
ثـم الصلاة علـى النبـي محمـد ما أشرقت شمس على الأكوان
والآل والصحـب جميعهـــم ما ناح قمـري على الأغصان

وثانيهما يستخدم إيقاع الفن النجدي :

وتستخدم نص: هب السعد هبايب الرياحي لك يا (فلانه) عساه دوم أفراحي.

الجلوة عند معظم الشعوب العربية

تعزيـز الوحـدة الوطنية في الرسالة المسرحية

د. أسامة خالد المسباح

لم يترك الخطاب الأميري - في دولة الكويت - مناسبة يتوجه بها إلى المواطنين الكرام، إلا ويتوقف بكثير من العمق والتأمل عند موضوع "الوحدة الوطنية" بوصفها الركيزة الأساسية لتماسك الدولة سياسياً، واجتماعياً، واقتصادياً، وثقافياً. وبوصفها الدعامة الأولى للتكامل والتكاتف والتلاحم بين المواطنين، وليس هذا فحسب، فهي الإرث الذي تناقلته الأجيال عبر التاريخ منذ عهد التأسيس حتى يومنا هذا.

المسرح في ذاته يحمل في داخله الدعوة الأصلية للعمل الجماعي، لأن رسالته تقوم على ضرب النزعة الفردية والانعزال وتنشد العمل الجماعي الموحد

فالوحدة الوطنية، بكل مقوماتها هي أهم أسلحة المواجهة والتحدي، التي يتصدى بها كل أفراد المجتمع للمخاطر التي تحيط بالوطن، وتريد النيل من ثوابته وانجازاته. وهي أيضاً القلعة البشرية النابضة الواعية التي تذود عن حمى الوطن وتحمي مكتسباته الوطنية، وتغرس في نفوس مواطنيه قيم الفداء، والتضحية والعمل والمثابرة والإنتاج، وتنمي فيهم روح الشراكة الإيجابية، ليذوب الفرد مع غيره في نسيج اجتماعي وطني واحد، لا يشعر فيه أحد بالفرقة والعزلة. فالوطن - هنا - للجميع.

وقد ضرب صاحب السمو أمير البلاد حفظه الله ورعاه، أصدق الأمثلة في تكريس مبدأ الوحدة الوطنية حينما أطلق عبارته الخالدة إثر تفجير مسجد الإمام الصادق، بقوله: " كلهم عيالي" إذن هي أسرة واحدة، مترابطة، متكاتفة، متوحدة، ذات هدف وطنيّ واحد، فلا فرق بين أفرادها، ولا فرق بين مكوّناتها الاجتماعية..

لكل دوره في البناء الاجتماعي، وفي البناء التنموي. ولكل حقوقه وواجباته أمام القانون. لذلك، كانت الوحدة الوطنية، ولا تزال، العنوان الذي يجسد عدالة الدولة، ويرسم مستقبلها الديموقراطي..

الوحدة الوطنية ورسالة المسرح

نظراً لأهمية هذا الموضوع، فقد أولاه المسرح اهتماماً خاصاً، وتناوله في عدد من العروض المسرحية، تارة بأسلوب مباشر، وتارة من خلال الترميز، والإشارة والتلميح. وقد تجلت ذروة هذا الاهتمام لدى المسؤولين عن القطاع الثقافي والفني في الدولة من خلال إقامة ندوة فكرية متخصصة ناقش المشاركون فيها هذا الموضوع من زوايا عدة على المستوى الخليجي، وليس الكويتي فحسب، وذلك من خلال الدورة الأخيرة لمهرجان الكويت المسرحي.

جاء اهتمام المسرح بموضوع الوحدة الوطنية، ليس فقط من منطلق اهتمامه بالإشكاليات السياسية المعاصرة التي تؤرق المجتمع الإنساني، بل لأن المسرح ذاته يحمل في داخله الدعوة الأصلية للعمل الجماعي المتكاتف والموحد. ولأن رسالته تقوم على ضرب النزعة الفردية والانعزال والانغلاق. وينشد مقابل ذلك كل عمل جماعي موحد يخدم قطاعات المجتمع دون تفرقة. علاوة على أ ن التطرق لموضوع الوحدة الوطنية ومعالجته بأسلوب فني جمالي، يحمل في داخله

زهراء المنصور (البحرين)

لا يمكن للوحدة الوطنية أن تؤخذ على جرعة واحدة ولا بحسب إرشادات عليا، لذا لا بد للمسرح من البدء مع الطفل نواة المجتمع ولا بد من الاهتمام بالمسرح المدرسي

دعوة رسمية وشعبية لتحديث الهياكل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على غرار التمدن الأوروبي الذي سعى إلى تكريس وحدة أوروبية معاصرة قائمة على التكامل والتجانس.

أوراق بحثية خليجيّة

ضمن فعّاليات الدورة السادسة عشرة، لمهرجان الكويت المسرحي، أقامت اللجنة المنظمة لأعمال المهرجان ندوة فكرية تحت عنوان (المسرح وتعزيز الوحدة الوطنية)، وذلك في مقر إقامة الضيوف، على مدار يومين من أيام المهرجان. قدم فيها عدد من الباحثين المسرحيين الخليجيين أوراق عمل تدور حول العنوان الرئيسي للندوة، حيث تمّ اقتصار التطبيق والدراسة فيها على المسرح الخليجي فقط.

حضر هذه الندوة ضيوف مهرجان الكويت من المسرحيين العرب والخليجيين، بالإضافة إلى عدد من المسرحيين والإعلاميين الكويتيين. وتمت في كل جلسات الندوة مناقشة الباحثين فيما قدموه في أوراقهم البحثية، والتي تنوعت فيها مستويات الرؤية من باحث إلى آخر، تبعاً لعوامل فنية وثقافية كثيرة. من أبرزها مدى اهتمام كُتّاب المسرح في الخليج العربي بإثارة موضوع الوحدة الوطنية في نصوصهم المسرحية. ومدى اهتمام المخرجين المسرحيين في التعامل مع هذه القضية خلال أكثر من نصف قرن من الزمان، وكذلك كيفية تعاملهم معها فنياً، وفكرياً.

الرؤية البحرينية

من مملكة البحرين قدمت الباحثة المسرحية زهراء المنصور بحثاً بعنوان: "إعادة تفكيك السؤال في التجربة المسرحية البحرينية ما بعد 2011م". معتمدة على جهدها البحثي في ضبط المصطلح، والتطبيق عليه من منظور تاريخيّ، ومنظور نظري. حيث قالت: "الأمر المهم جداً في العروض المسرحية التي قدمت بعد أزمة2011 في البحرين أنها تحاكي مفهوم الوحدة الوطنية بالشكل الذي فهمه القائمون عليه، من دون الأخذ بدور المسرح التنويري في بث الوعي بشكل مدروس لجمهور واع، ولا تعجز وسائل التواصل الحديثة التي خلقت العولمة وجعلت العالم قرية صغيرة عن إفساح المجال لمشاهدة ما يريد ومن كل العالم، فماذا سيكون الحال إذا كانت القضية مشابهة للقضية المحلية؟

من الطبيعي أن يتجه المتلقي للمقارنة التي لن تكون في مصلحة المسرح المحلي بالتأكيد، وهذا لأننا نرغب في نهضة مسرحية مفاجئة كنتيجة للحماس الذي سرى في الأنفس، فكان للمسرح نصيب من الأوبريتات والمهرجانات والفرق الفنية، وكان التوقع أن تقوم نهضة مسرحية أعادها توحد كلمة الشعب وتشبثه بالوطن أكثر نتيجة تحشيد الإعلام الرسمي للالتفاف وتأكيد الروح الوطنية بكل وسيلة مطروقة. وكما تطرق جرجس شكري بعد ثورة مصر " انتظروا نهضة مسرحية تهبط عليهم من السماء دون مقدمات، وأن الجمهور سوف يتدفق على المسارح فجأة، وأن الثورة سوف تمنح أنصاف المواهب القدرة السحرية على الإبداع فجأة؟ صحيح أن ثورة يوليو أفرجت عن الطاقات الحبيسة لدى الفنانين والجمهور معاً، فإذا تأملنا الأوضاع بين اللحظتين سنجد بعض الاختلاف وقليلاً من التشابه، وربما حصل بعض من هذا فعلاً نتيجة لكل ما ذكر. لكن هل استمر بالقوة المطلوبة؟ هل تدفق الجمهور على المسرح كما كان متوقعاً له؟ هل ظهر نجوم شباك بحرينيون من وراء هذه الأعمال؟ والسؤال

الأهم: هل ما قُدم من عروض مسرحية يرقى للإحساس بالوحدة الوطنية ويدفع بها قدماً إلى الأمام؟"

وحول دور المسرح في رسم الوعي الشعبي، وتعزيز مفاهيم الوحدة الوطنية لدى المتلقي قالت زهراءالمنصور في بحثها: "إن النجاح في ترويج معنى الوحدة الوطنية، ومن يعمل من أجل تحقيقها يدرك أنها تقوم على إرادة شعبية لمختلف الأطياف، بحيث تطغى المصلحة العليا للوطن فوق كل اعتبار للأفراد، ومن دون الالتفات إلى الاختلافات الثانوية التي تحول دون التكاتف والإبقاء على الكلمة الأخيرة لمصلحة الوطن التي هي خير على كل مواطن. وتؤدي الثقافة دوراً كبيراً في قيادة هذه الأدوار المهمة، فينأى المسرحيون عن كل ما يقسم وحدتهم وعن كل ما يقسم وطنيتهم إلى مذاهب وطوائف وأعراق وأن يسموا على صغائر الاختلاف ونتائجها المدمرة التي تكون وبالاً على المجتمع، بدل أن تقويه وتلفت نظره للعدو الخارجي المتربص بهذا التكاتف وهذه الوحدة. فالمسرح يرسم هذا الوعي الجمعي لو كُرس له كما يجب. والالتفات للمنابر الثقافية الأخرى، ودورها في تعزيز الوحدة الوطنية ليس برسائل مباشرة فجة، تعطي الأمر من دون المعنى للمتلقي، ولا بتغيير نغمة وتون، كما تفعل بعض أجهزة الإعلام وأيضاً بعض كتاب الأعمدة الذين باتوا معروفين بلحنهم المألوف في

د. فيصل محسن القحطاني (الكويت) لا يمكن فصل الخطاب المسرحي عن بيئته ومحيطه، وقياس العمق الفكري للنص مرهون بالمؤثرات الثقافية والاجتماعية والتحولات الأيدلوجية

وقت أن مواقفهم الأخرى لا تدل على مصداقية ما يكتبون ولا يدلون عليه. نحتاج إلى هذا "الهارموني" الذي يضخ فينا نعمة المحبة والولاء الطبيعي المنحاز للوطن وقضاياه. وكما يشير هيغل، الذي يعتبر الوحدة الوطنية "طاعة القانون في إطار الحرية الممنوحة منه، على أن يتوافق القانون مع منطق العدل الذي هو منطق التاريخ". وهذا المنظور للمسرح وللثقافة اتجاهات عديدة في طريقة التفكير والوعي ممزوجة بالالتزام بالقيم التي تشربها من المجتمع والبيئة المحيطة، وفي هذه الحالة يصطبغ مفهوم الثقافة بمفهوم الهوية غير أن الأولى تعني التحول والتطور، في حين أن الهوية ثابتة وقابلة للتجديد."

وحتى يلعب المسرح هذا الدور الثقافي والتنموي والوطني، فإن الباحثة ترى أنه لا بد للعودة إلى أصل القضية، وهو مسرح الطفل، ليأخذ هذا المتلقي الطفل ويساهم في توعيته، لذلك فهي تؤكد ذلك في بحثها قائلة: لأننا نفكك معاً دور المسرح الذي ننتمي إليه جميعاً، ويهمنا أن يكون له الشأن الذي وجد لأجله، لا بد أن نضع أيدينا على الجرح مباشرة ونبدأ بعلاجه ورأب الصدع الذي يتحول مع مرور الوقت إلى بعد حقيقي، ليس من صالح المسرح/ المسرحيين، ولا المجتمع الذي ينتمي إليه. ولأنه لا يمكن للوحدة الوطنية أن تؤخذ على جرعة واحدة، ولا بحسب إرشادات جهات عليا، ولأن دور المسرح غير منوط بفئة عمرية أو تقسيم جندري أو غير ذلك، فلا بد للمسرح من البدء مع الطفل نواة المجتمعات إذا أردنا وضع منهجية حقيقية تنمو وتكبر مع الأطفال. ويؤكد متخصصون عديدون في مسرح الطفل عن الدور الذي يضطلع به المسرح في بناء الشخصية والسلوك ومساهمته في إنماء الروح الوطنية لدى الأطفال بالتدرج، وكجزء أساسي من القيم التي يكتسبها من ممارسة المسرح. ويشار أيضاً في هذا المسرح إلى أهمية أن يجبل الطفل على موضوع الشريك في الوطن المغاير له في الدين أو المذهب أو اللغة أو أي انتماء مختلف عن انتمائه. وإذا استطعنا اجتياز الممر الأول من هذه المهمة، واستمر مسرح الطفل ومن قبله المسرح المدرسي في ترسيخ ثقافة الوحدة الوطنية، سيكون من اليسير جداً أن تدخل هذه المهمة في الجامعة وعبر مؤسسات المجتمع المدني التي تدخل المسارح من ضمنها، ولأنها منطلقة من المجتمع وله، لذلك يمكنها التأثير فيهم بشكل تدريجي مقنع وليس بشكل سريع مستعجل وقصير المدى. ومع الاستمرارية التي ننادي دائماً بها للمسرح، يمكن أن يتحول إلى عادة محمودة نبث فيها ومنها الوحدة الوطنية ومعانٍ كثيرة جديدة وإيجابية.

الوحدة الوطنية في التجربة الكويتية

الورقة الكويتية في الندوة الفكرية حملت عنوان (الوحدة الوطنية في الخطاب المسرحي الكويتي)، قدمها د.فيصل محسن القحطاني رئيس قسم التلفزيون بالمعهد العالي للفنون المسرحية. وتضمنت مقدمة نظرية عن أهداف البحث، ثم مقدمة أخرى حول (الخطاب المسرحي). أما الجزء المعني بالتطبيق فإنه جاء في سياق محور (تصدير العنوان والكشف عن فحوى الخطاب) عبر عرضه لثلاثة أعمال: (ويبقى الوطن) الذي تم عرضه في العام 2011م، وعرضي حامي الديار، ودقت الساعة اللذين كُتبا بين العام 1985 – 1987. وحول

هذه العروض قال الباحث: «لا أخفي سراً إن قلت: إن القراءة الأولى لعرض (ويبقى الوطن) أوجـدت الشـك في مقارنة عرضين مسرحيين يعتبران من أهم عروض المسرح الكويتي في مواجهة مع (ويبقى الوطن)، وعلى طاولة نقاش واحدة، إلا أنني أعترف بأنها كانت فكرة خاطئة، وشك ليس في محله، لأن القـراءة الثانية والنظرة التحليلية برهنت على العكس، فالخطاب المسرحي يتأثر «بعدة عوامل ليست كامنة في جوهر المسرح والعمل الإبداعي، بل من خلال الظواهر الخارجية: فنية، واجتماعية، وعملية وثقافية»، لـذا يمكنني أن أورد بعض العوامل الرئيسة التي جعلت من خطاب مسرحية(ويبقى الوطن) يرقى لأن يكون خطاباً متوافقاً مع مفهوم الوحدة الوطنية في المسرح الكويتي.

إن أهـم عـامـل مـن تلك العوامل هو أننا لا يمكن فصل تحـليـل الخـطـاب المسرحي عن بيئته ومحيطه الذي كُتب وعـرض فيه، فقياس العمق الفكري للنص مرهون بمعطيات عـديـدة، أهـمـهـا المـؤثـرات السوسيوثقافية لمرحلة العرض، فالتحولات السياسية والتبدل الأيدولوجي الذي حصل بعد غزو الكويت، والذي أذاب الكثير من الإيمـان بمفهوم القومية العربية عند أكـثر التيارات السياسية الكويتية، وما تبعه من انهيار للنظام الاشتراكي، وظـهـور الإرهـــاب والتطرف بأبشع صوره جعل الكثير ممن

مشهد من (ويبقى الوطن)

كانوا ينادون بصحة عقيدة هذه التيارات ينسلخون منها، فكل هذه المؤثرات ساهمت في خلق أفكار جديدة، أو بمعنى أدق كانت هادمة للأفكار القديمة، والتي كانت تهدد مفهوم الوحدة الوطنية في فترة ما قبل غزو النظام العراقي للكويت، لأن «مراحل التحولات والانقلابات الاجتماعية تنعكس بدورها في تعميق أهمية الخطاب المسرحي، كما أن هامش الحرية الذي يتحقق ضمن النظام السياسي يعطي إمكانية ومساحة أوسع للإبداع».

إن تأثيرات العولمة والثورة التكنولوجية ساهمت في تغيير أنماط التفكير لدينا، فلم تعد هـنـاك سلطة للخطاب على المتلقي، سواء من الـدولـة أو الأســرة أو الفكر السياسي والـديـنـي، فـجـاء الخطاب الشعبوي والـذي يشارك فيه كل المتواصلين اجتماعياً عبر هذه التكنولوجيا، فبعد أن كانت التيارات السياسية تصدر من يتحدث باسمها ممن يملكون قـدرة على الإقـنـاع وإيصال أفـكـارهـم، أصـبـح الخطاب الشعبي في أغلبه خطاباً وصولياً لا يعترف بالمرجعيات العلمية والعملية في الممارسة السياسية والدينية.

ويبقى عامل تقنيات الكتابة في النماذج الثلاثة، حيث لم تأخذ تلك النماذج الشكل التقليدي في

مشهد من مسرحية (حامي الديار)

العرض المسرحي، بل كان لكل عرض تقنيته الخاصة التي تميز بها، وهـذا التميز جاء نتيجة لـرؤيـة واعية لمعطيات المرحلة، وهذا ما سيتبين من خلال تحليل النماذج المختارة.

بوسعنا القول إذن: إن هذه الـعـوامـل جعلت مـن خطاب نص (ويبقى الوطن) يرقى لأن يكون خطاباً مـعـززاً للوحدة الوطنية في المسرح الكويتي، بل ويكون صدى مكملاً للخطاب السابق، فالنص كتب خصيصاً لتعزيز الوحدة الوطنية، كما هي الحـال في نصي (حامي الديار، ودقت الساعة) حيث كانت فكرة الـوحـدة الوطنية المحرك الأساسي للأحداث في المسرحية، فلا يمكن اعتبار بعض الإشارات التي تأتي في بعض الأعمال المسرحية أو بعض المشاهد المقحمة هي بمنزلة الخطاب المسرحي، فطريقة التعاطي مع القضية هي التي تحدد مدى ارتقاء العمل ليشكل في مكوناته خطاباً مسرحياً واعياً، فالخطاب المسرحي له منطقه الـذي يحركه ويدفعه إلى حالة الإبداع، لذا نجد أن مسرحية (حامي الديار) جاءت بعد تفجير موكب أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح في مايو 1985 وتفجيرات المقاهي الشعبية في أنحاء البلاد، كما جاءت مسرحية (دقت الساعة) بعد الأحـداث السياسية في الشارع الكويتي من جراء حل مجلس الأمة في عام 1986، أما مسرحية (يبقى الوطن) فجاءت بعد أحداث ما يسمى بالربيع

العربي في 2011.

فاعتقد البعض ممن يجهلون الواقع الاجتماعي والسياسي الكويتي أن الكويت مرشحة لأن تكون أول دولة خليجية ستدخل دوامة الربيع العربي."

الرؤية القطرية

الورقة القطرية قدمها الباحث والناقد القطري د.حسن رشيد. وتضمنت مقدمة طويلة عن المسرحيات الوطنية في تاريخ المسرح العربي. ثم توقف عند تجربة الكاتب المسرحي القطري عبدالرحمن المناعي، والتي عنوانها (هناك) والتي قدمها في العام 2015م، حيث قام بتحليل فكرة النص. ثم عرض الباحث لمسرحية (هلو غلف) للكاتب والمخرج غانم السليطي. ومسرحية (أمجاد يا عرب).

وقد توصل الباحث إلى قناعة بأن الكاتب المسرحي الخليجي لم يكن في معزل عن جهود الكاتب العربي، وقال: "الكاتب الخليجي كان واعياً بأن دور المسرح ليس فقط دغدغة حواس الجمهور وأن المسرح لا يعني سوى الإضحاك ولكن هناك رسالة أهم.. وهذا ما دفع هؤلاء الكُتاب إلى خوض غمار التحدي وطرح قضايا ملحة.. سواء في إطار قضايا المجتمع أو القضايا التي تلامس البعد الإنساني.. نعم بمقدور المؤلف أن يقف سدا منيعاً أمام المحاولات التي تحاول اختراق الجسد الواحد وتمزيق وحدة الصف لأن هناك مع الأسف

د. حسن رشيد (قطر)

العلاقة المباشرة بين المرسل والمتلقي في المسرح جعلته أكثر الفنون تأثيرا ولا بد للمسرح أن يؤدي رسالة تنويرية في تأكيد الهوية والوحدة ومجابهة كل ما يهدد أمن المنطقة

من يغذي الطائفية البغيضة من أجل مصالح الآخرين، وهناك من يدعم فئة على حساب فئة أخرى من أجل مكتسبات آنية.. ويحاول تمزيق الكيان الواحد الموحد ووضع إسفين بين أبناء الوطن الواحد، مع أن المجتمع الخليجي إجمالاً مرتبط بوشائج وعلاقات ممتدة من عمان إلى الكويت تجمعهم رابطة الدم والدين والعادات والتقاليد والعلاقات الأسرية وكان كل ما يشكل هزة سواء في إطار المذهب والمعتقد بعيداً عن هذه الأجواء.

نعم للمسرح صوت.. وللمبدع دور في خلق وشائج مع الواقع المعيش عبر العمل على استحضار النماذج التي تؤدي إلى التلاحم وعدم الصمت والسكوت على كل ما من شأنه أن يغلف المجتمع بكل ما هو غير سوي.. لقد شاهدنا العديد من الأعمال التي شكلت صرخة احتجاج على الواقع العربي سواء ما عرت مظاهر الاستبداد.. وغياب الديموقراطية وتدهور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في بعض البلدان العربية، حتى قيام إطار الرأسمالية المستغلة والدعوة إلى الإصلاح السياسي الحقيقي ومحاربة الفساد بأي شكل كان ومحاربة تسييس الدين وغلبة المصالح الشخصية على مصالح المجتمع والوطن ونبذ العنف والإرهاب لأن هذا مع الأسف قد أدى إلى تدخل الآخر والطامع في ثرواتنا وتفكك اللحمة بين أبناء المنطقة.

الكاتب بمقدوره أن يحمل مشعل الإنارة ويؤدي دوره ولا أعتقد أن هناك فناً أكثر تأثيراً من المسرح في الجموع.. نظراً إلى وجود علاقة مباشرة بين المرسل والمتلقي دائماً هو الشريك المباشر في اللعبة المسرحية.

نعم.. بمقدور المسرحي الخليجي أن يلعب دوره في طرح مضامين تؤكد على وحدة الخليج أرضاً وشعباً ومصيراً.. والنماذج أكثر من أن تعد..

كما سُجل تاريخ المسرح الخليجي بمبدعيه ورموزه.

وما صيحات نجوم اللعبة من عمان إلى الكويت إلا تأكيد أن الجميع يشعر بمدى خطورة الواقع المعيش، فلا أقل من أن يشمر عن ساعد الجد ويطرح همومه وقضاياه.. وليس هناك قضية الآن تغلف واقعنا الخليجي سوى التأكيد على هويتنا ووحدتنا الوطنية في وجه الغزو من قبل من يحاول أن يغلف واقعنا بمعتقدات وأفكار هدامة كانت بعيدة عن المنطقة.

إن خلق خلخلة بين أبناء الوطن الواحد قد فشلت لأن أبناء هذه المنطقة يرفضون كل ما هو بعيد عن أمن وسلامة دول المنطقة ولكن الآخر لا يستكين.

إذا على المسرح أن يلعب دوره التنويري في هذه المرحلة وأن يؤدي رسالته عبر كل الأطر.. المسرح المدرسي والجامعي وفرق الهواة وأن يدعم الجميع المسرح عبر كل المؤسسات الحكومية والخاصة.. لأن الغزو الخارجي والمحمل بالأفكار البعيدة يحاول زعزعة الوحدة الوطنية وخلق مجال لطرح ما هو بعيد عن مجتمعاتنا.. هذا المجتمع الخليجي المسالم والذي ردد مع النهام .. يا الله.. يا الوالي..".

فالأوطان تحتاج من أبنائها الكثير، فالإنسان بلا وطن كالجسد بلا روح، ولابد من الاخلاص في الكتابة عن الوطن والمحافظة على وحدته، وكما يقال" أعطني مسرحاً... أعطك شعباً مثقفاً"... ونحن نكمل" ... أعطك مثقفاً ووطنياً.

قـــراءة مـخـتـصـرة فـي ارتـبـاط التفخيم والترقيق بمعاني الألفاظ

العربية.. أسرار الكلام

ليس خفياً أن للعربية دلالات في مفرداتها وجماليات في صيَغها، تُعطي للبارع فيها مَلَكةً في التعبير، كما تمنح مُتَذَوِّقَها نَشوةَ الإحساس، وتَهَب مُتعلمها مكانة مميزة، وفي ذلك كله نتلمس معاني رائعة تعانق الطبيعة وترسم حقيقة الحياة.

علي سويدان

لا أرق من الماء ولا أصفى من السماء وكل ما جمعت الكلمتين من حروف هي مرققة

(غضب) اجتماع حرفين مفخمين هما الغين والضاد يُعطي زخماً شديداً في ثقل المعنى وأثره

حين ننظر بإمعان إلى حروف العربية من حيث الترقيق والتفخيم نجد دلالات جمالية وتراكيب رائعة للعلاقة بين الحروف، ونقصد بالحروف المرققة التي هي قسم من حروف الهجاء الثمانية والعشرين وهي حروف رقيقة اللفظ عند التكلم لا يمتلئُ الفم عند النطق بها وهي: مجموعة في قول الشاعر:

ثبتَ عن مَنْ يجودُ
حرفُهُ إذا سُلّ شَكا

ونستثني الألف واللام والراء فلها قواعد خاصة من حيث الترقيق والتفخيم؛ فالألف تتبع ما قبلها؛ إن سبقها حرف مرقق رُقِقَتْ، وإن سبقها التفخيمُ فُخمتْ، وللام والراء تفاصيل لسنا بصددها، أما التفخيم فيقصد به الحروف التي يمتلئُ الفم حال النطق بها وهي مجموعة في عبارة:

خُص ضغط قظ ويجدر

الوقوف على أن أغلب الكلمات التي تحوي حروفاً مرققة تحمل معاني رقيقة ودلالات حسية فيها لطفٌ وحِسٌ من الطبيعة، وأن أغلب الكلمات التي تحوي حروفاً مفخمة تحمل معاني تدعو إلى القوة والتحمّل والصبر أو فيها دلالات القسوة أو متطلبات تدفع نحو تحمّل المهام.

ونبقى الآن مع أمثلة على الترقيق وأُخرى على التفخيم ودلالات ذلك في المعنى:

أمثلة على الترقيق:

- (سماء) نلاحظ حرف السين وهو من أشهر الحروف المرققة، فإذا حذفناه من كلمة (سماء) بقي ثلاثة حروف هي (ماء)؛ وفي ذلك حقيقة ارتباط معنوي ومادي بين دلالة كلٍّ من الكلمتين؛ ولا شك أنه لا أرقّ من الماء ولا أصفى من السماء وكل ما جمعتِ الكلمتين من حروف هي مرققة.

- (جمال) هنا أيضاً يمكننا أن نلمس الرِّقةَ كلّها في الكلمة، ولو حذفنا الجيم بقيت حروف ثلاثة هي (مالَ) وحسبُ الجمال أن تميلَ الجميلةُ بجمالها ويميلُ القلبُ إلى جمالِها، والحروف كلها هنا مرققة.

ولعلنا نلْحَظُ أحيانا كلماتٍ تحوي مزيجاً من الحروفِ المرققة والمفخمة معاً، ونلاحظ أنّ ذاك المزيجَ في الترقيق والتفخيم مُنعَكِسٌ على المعنى ودلالته؛ كما هو مثلاً في كلمة (قلم)؛ فالقاف مفخمة، واللامُ والميم مرقّقَتان،

والدلالة هنا واضحة؛ فالقلم عظيم الشأن منذ بدءِ الخلقِ ومنذ عرفت البشرية أبجديات اللغة وبه أقسم الله في القرآنِ، وفي الأثر أنه أول ما خلق الله سبحانه، ناهيك عن دور القلم في حياة الناس وأثره، كل ذلك فيه دلالة المسؤولية والجدية ويتلاءم ذلك مع التفخيم في حرف القاف، أما اللام والميم المرققتان فترى رقّتهما فيما في القلم من تعبير عن الشعور البشري وعواطف القلوب وما تحمل من معاني الحب والصدق والوفاء.

أمثلة على التفخيم:

- (صَبْر) هنا الصاد مفخّمة والراء يغلب عليها التفخيم في الضم والفتح،

أما الباءُ فلا أثر لترقيقها لاندماجها في مقطع ساكنٍ مع الصاد؛ ولا شك بأن الصبر يحمل في طيّاته جملةً من التحمّل والجَلَدِ ويتناغم ذلك مع التفخيم في النطق.

-(غضب) اجتماع حرفين مفخمين هما الغين والضاد في كلمة واحدة يعطي زخماً شديداً في ثِقَلِ المعنى وأثره وهو ما نراه في كلمة (غضب).

- (ظُلْم) وهكذا تبدو الظاء مفخمة بأصل التفخيم فيها ولا أثر لرقّة اللام بجانب حرف الظاء وكذا الميم، فوجود الظاء في كلمة يطغى حضورها على سواها في النطق والسّماع.

يظهر لنا في الأمثلة السابقة جانباً من امتزاج التفخيم والترقيق بمعاني الألفاظ من حيث المعنى من جانب ووقعها على المستمع من جانب، كل ذلك يصبُّ في حقيقة تبرزُ للمستمع العابر مع اللغة، ويتذوّقُها المُتَتَبّعُ لدلالاتِ الألفاظ وآرتباط ذلك ببنيَةِ الكلمة، لنصلَ إلى أنّ هذا التمازج والتناغم بين ألفاظ اللغة العربية ومعانيها تمازج وتناغم لا مثيل له بين اللغات، يأخُذنا إلى أسرار في التعبير ونشوة في فهم اللغة.

مأزق المواطنة التحدي الأول

حسين السبع

في الأزمات الكثيرة التي مرت بها الكويت بعد التحرير ظهرت مشكلة ضعف مفهوم المواطنة لدى المواطنين كأبرز تحد اجتماعي ، وفي تشابكها مع قضايا أخرى كانت في الحقيقة تجعل من بعضها أزمات مجتمعية والبعض الآخر قضايا حقوقية مدنية خالصة .ومن المهم الإشارة في هذا المجال إلى أن الكويت كانت من الدول الرائدة في ميدان الإصلاح السياسي والقانوني ، ولهذا حرصت دائما على أن يتمثل النظام السياسي في سلطة تنفيذية وسلطة تشريعية يضع نصب عينيه النهوض برفاهية المواطنين ، بالإضافة إلى تعزيز ورعاية وعيهم بمفهوم المواطنة بمعناه المدني والقانوني . وربما تظهر انتقادات على أن هذه الأهداف الطموحة تعطلت لفترات متعددة بسبب جدال بين السلطتين التنفيذية والتشريعية ، ولكن جميع المكونات الاجتماعية أصبحت تدرك بأن الخروج من حالة الجمود هذه يتطلب أولا تعزيز قيم المواطنة.

في البدء تتطلب عملية تعزيز قيم المواطنة سلسلة من الإجراءات التي تهدف إلى إعادة صياغة الوعي الاجتماعي وتصحيح جملة من الأفكار . وهذه الإجراءات مهمة جدا ولا يمكن تحقيق البعد الاجتماعي للمواطنة بدونها . فهي تشكل عملية تصحيح مجتمعي وفي الوقت نفسه الأساس الاجتماعي المطلوب .وتتشكل هذه العملية من ثلاثة عناصر مترابطة، أولا في أعلاء فكرة أن يكون الولاء للوطن أولا وأخيرا، وأن الوطن في أهميته يفوق كل الروابط الاجتماعية الأخرى، فالولاء للوطن لا يجب أن تنافسه ولاءات جزئية مثل الولاء للقبيلة أو الطائفة أو لفئة أو عائلة معينة . ويرتبط

إعلاء فكرة الولاء، واحترام القانون والتمسك بالدستور مداميك ثلاثة لتعزيز المواطنة

بهذا العنصر ويعتبر مكملا له فكرة احترام كل الأشخاص للقانون، وأن يكون القانون سيدا وحاكما للجميع بحيث تخضع له كذلك السلطتان التنفيذية والتشريعية لأن خرق هاتين السلطتين له سيؤدي بشكل مؤكد إلى تقوية وتعزيز الولاءات الجزئية وبالتالي إعادة الاعتبار لسلطة القبيلة والطائفة ومن الطبيعي أن يضعف ذلك مفهوم المواطنة والوطنية . وثاني عنصر في تعزيز فكرة المواطنة يكون من خلال التشديد على أهمية التمسك بالدستور لأنه العهد الذي التقت عليه إرادة السلطات والشعب، فهو الذي يرسم خريطة المجتمع ويحدد مكانة الأشخاص ووضعهم داخل مجتمعهم ومن خلاله تتضح طبيعة القيم وتفسيراتها، ويمكن اعتباره الأساس الذي تقوم عليه الدولة وأي انتهاك له هو هدم لأساس الدولة . وثالث عنصر هو التأكيد على أهمية وفاء المواطنين بواجباتهم تجاه الدولة والمجتمع، لأن فكرة المجتمع الاستهلاكي لها تأثير معاكس لمفهوم المواطنة . فقيام الفرد بأداء واجبه تجاه الوطن والإيمان بالعمل كقيمة اجتماعية كبرى يعزز من قيم المواطنة، في حين أن التركيز على فوائد المواطنة مثل المزايا المالية للوظائف، كظاهرة الكوادر المالية، تعمل على إضعاف فكرة المواطنة وتعزيز الولاءات الجزئية بشكل غير

المواطنة الفائضة هي التي تزيد فيها حقوق الأفراد عن التزاماتهم تضعف قيم المواطنة، وتخلخل الوفاء

مباشر .

إن عملية تعزيز المواطنة تعني فصل الولاءات عن الولاء للوطن، وهذا لا يعني محاربة الولاءات الجزئية والقضاء عليها فذلك شيئ مستحيل ولكن تعزيز العناصر الثلاثة السابقة سيعزز من فكرة المواطنة، فقد سبق لبعض الأنظمة العربية في النصف الثاني من القرن العشرين محاولة محو الولاءات الجزئية دون إقرار عناصر المواطنة وشروطها فكانت النتائج غير مجدية نهائيا . وليست هذه العملية سهلة وسريعة ويتولى التخطيط لها طرف اجتماعي واحد، لأن تحديد العلاقة بين الدولة والمواطن وفق إطار الحقوق و الواجبات، بحاجة إلى جهود كبيرة لتغيير نمط التفكير السائد من التفكير والقناعات . فالإشكالية الكبيرة مصدرها اختلال العلاقة بين الدولة والمواطن، لأنها علاقة صورتها الواضحة الاعتماد الكلي للمواطن على الدولة في كل الخدمات وتحميل الدولة كل الأعباء دون أن يتحمل المواطنون أية مسؤولية أو أي التزام .وذلك في بعده النهائي يعوق من عملية تعزيز المواطنة .

ومن المؤشرات المهمة فيما يتعلق بتعزيز المواطنة أنها لم تتمتع في الكويت وأغلب المجتمعات العربية بالمكانة والمركزية التي حظيت بها في المجتمعات الأوروبية وجنوب شرق آسيا وأمريكا اللاتينية وباقي الدول التي ضربتها الموجة العالمية للديموقراطية. فالمواطنة كانت في معناها الكلي هي الاعتماد على الدولة التي تحولت إلى تبني الدور الأبوي في تقديم كافة أنظمة الرعاية الاجتماعية والاقتصادية، مما أدى إلى زيادة الإنفاق العام . وهذا المنظور في التعامل مع مفهوم المواطنة أدى إلى تعميق الشعور بالاتكالية وعدم التعامل مع العمل والمسؤولية كقيم مجتمعية عالية الأهمية، وبالتالي عدم اكتمال المواطنة أو بقاء المواطنة في حالة اختلال دائم .

وحين نتناول الكويت كنموذج واضح على ضعف مفهوم المواطنة وضعف علاقته بالدولة فإن الرفاه الذي يتمتع به المواطنون هو محصلة نهائية لسياسات الدولة في مجالين رئيسيين: الخدمات الاجتماعية، والتوظيف الحكومي، فللمواطنين حق

التعليم المجاني، والرعاية الصحية والاجتماعية والإسكانية، ومختلف أنواع الدعم المباشر وغير المباشر للسلع والخدمات وتعتبر الوظيفة والمعاملة التفضيلية في الرواتب والمناصب الحكومية مكافأة ريعية من الدولة، وهذا يعني أن الدولة استطاعت كسب ولاءات الفئات والشرائح الاجتماعية من خلال سياساتها التوزيعية، وتلبية الاحتياجات الأساسية لمواطنيها دون تحميلهم أية التزامات أو واجبات .

إن الطعنة الكبرى للمواطنة تأتي دوما عن طريق هيمنة الدولة، فهي التي تجعل المواطنين يتصورون علاقتهم بالدولة بأنها تشبه علاقة الأم بأطفالها بحيث يعتمدون عليها في كل صغيرة وكبيرة، دون أن يقدموا أية تضحيات أو مشاركة إيجابية في الخطط والبرامج التنموية، ولهذا السبب نشأت فجوة كبيرة بين ما تقدمه سياسات مجتمع الرفاه والتنمية البشرية المستدامة، وهو مؤشر كبير على اختلال جوانب المواطنة، ففي الوقت الذي يتمتع فيه المواطن بكافة الحقوق والامتيازات لا يترتب على ذلك قيامه بأداء أية واجبات والتزامات .

وهناك إشكالية كبرى تعترض المواطنة تتمثل في ضعف التمسك بالعقد الاجتماعي . فعلى الرغم من العمليات التحديثية الهائلة

تراجع وضعف دور الأسرة والمدرسة في إكساب النشء للقيم الإيجابية وتنامي الأنانية واللامبالاة وتهوين قيم العمل والإنجاز فاقم الأزمة

التي قامت بها الكويت على سبيل المثال في ميدان التعليم والثقافة إلا أن القاعدة الرئيسية للمواطنة كانت مشوهة لتمسك المواطنين في الشبكات الاجتماعية التقليدية حتى في الممارسات الاجتماعية الحديثة كالانتخابات الديمقراطية. وهو ما خلق مواطنة مشوهة مرتبطة بهذا الوضع، والمواطنة المشوهة ليست سوى تلك التي يتمتع في ظلها المواطنون بالمواطنة الفائضة أو الزائدة عن الحد، وهي التي تزيد فيها الحقوق التي يستمتع بها الفرد عن الواجبات أو الالتزامات المطلوبة منه .

ومن جانب آخر فهناك ضعف شديد في دور العائلة في تعزيز قيم المواطنة، وهذا الضعف يشير إلى خلل كبير أصاب العائلة وأدوارها الاجتماعية حيث لم تعد العائلة الكويتية بكل سطوتها الأخلاقية كما كان الأمر في نموذج العائلة الممتدة تلعب دورا كبيرا في بلورة المواطنة وترسيخها. وفي الحقيقة فإن العائلة الكويتية تعيش أزمة المواطنة نتيجة التنشئة الاجتماعية غير المتوازنة بين القيم التعليمية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الطفل والشاب، فالمدرسة والمناهج تضخ في العقول تعاليم معينة والأسرة والمجتمع يضخان تعاليم أخرى، فمن الملاحظ أن العائلة الكويتية بعد التحرير أصبحت تحرص على أن تكسب أبناءها في الدرجة الأولى قيم القبيلة أو الطائفة. وإذا كانت أساليب التنشئة الاجتماعية التي يقوم من خلالها الوالدان بإكساب أولادهما القيم الاجتماعية، والاتجاهات، والخبرات، ونماذج السلوك تهمل ولا تراعي بشكل كبير مفهوم المواطنة فقد ضاعفت التحولات الاجتماعية -الاقتصادية التي تعرض لها المجتمع الكويتي وبنية العائلة وأساليب التنشئة الاجتماعية من ذلك، مما أدى إلى حالة اضطراب يعكسه تراجع دور العائلة في عملية التنشئة الاجتماعية، وبروز الظاهرة الاجتماعية التي تسمى تراخي الأمومة والتي من خلالها يترك للخدم والمربيات الأجنبيات تنشئة الأطفال .

ويمكن ملاحظة تراجع مفهوم المواطنة من خلال التضارب الواضح في منظومة القيم الاجتماعية، ونشوء الصراع بين قيم الحداثة والموروث الاجتماعي، وبروز قضايا الهوية، وتزايد بلورة مشاعر الولاء للقبيلة والطائفة والعائلة على حساب الولاء الوطن، فضلا عن ضعف روح الديموقراطية والشورى والمشاركة بين أفراد العائلة. وتشير في هذا الشأن الإحصاءات الرسمية ارتفاع معدلات التفكك لدى أفراد العائلة الكويتية، وانتشار الأنانية، واللامبالاة، والعنف بين الأبناء، علاوة على التهوين من قيم التعليم والعمل والإنجاز في حياتهم، بالإضافة إلى ميل كثير من الأبناء إلى التخلي عن القيم الكويتية الأصيلة مما أفقد العائلة الكويتية كثيرا من دعائم المحتوى النفسي والاجتماعي لتفاعلها الحميم، وفتح الباب على مصراعيه لتنامي التفكك الأسري بكل صوره وأشكاله .

وكل هذه المؤشرات تحيل إلى نتيجة نهائية تتمثل في فشل كل من العائلة في عمليات التنشئة الاجتماعية والمدرسة في عمليات التنشئة التربوية وفشلهما معا في تشكيل وغرس قيم المواطنة في نفوس الأطفال. علاوة على أن الفلسفة الاجتماعية للدولة لم تستطع خلق استراتيجية تتغلب على الأدوار المتنامية لمرجعيات العائلة والقبيلة والطائفة والتي ما زالت هي القوى الأكثر تأثيرا في تشكيل قيم المواطنة لدى الشباب وتوجهاتهم الاجتماعية والثقافية .

في معنى الهوية

د. الزواوي بغوره

ليس هناك تعريف (جامع مانع) للهوية، وبعض المفاهيم تخضع للسياق التاريخي والثقافي واللغوي الذي ظهرت فيه، وهناك دائماً عملية تفضيل وتقدير في كل تعريف

لا شك أن الخلاف والاختلاف حول مفهوم الهوية يبدأ من تعريفها وتحديدها، وذلك لأسباب عديدة، منها أولا، ما يمكن وصفه بالسبب المنطقي وهو أن كل تعريف هو بالضرورة سلب. أي، أن تعيين معاني محددة للمفهوم، يعني استبعاد معاني أخرى عليه. فإذا عرفنا الإنسان، على سبيل المثال، بأنه (كائن عاقل)، فإننا بالضرورة نستبعد عنه صفات أخرى منها (التوحش) أو (الجنون)،،، الخ. وثانيا هو أن المفاهيم تخضع للسياق التاريخي والثقافي واللغوي الذي ظهرت فيه، وسيرى القارئ لاحقا،أن مفهوم الهوية في الثقافة العربية له سياقه الخاص. وثالثاً هو أن هنالك دائما عملية تفضيل وتقدير في كل تعريف، والدليل على ذلك

اختلاف الموسوعات والقواميس والمعاجم في تعريف المفردات والكلمات من حيث التأكيد على صفة دون أخرى. ورابعاً هو أن بعض المفاهيم تخضع لتداول كبير، بحيث يشارك في صياغتها عدد كبير من الناس، مما يجعل عملية الفرز والفصل والتعيين عملية شاقة وعسيرة. ولا نجانب الصواب،إذا قلنا إن مفهوم الهوية، أو مفهوم العولمة، أو مفهوم الديمقراطية يتضمن هـذه الصعوبات الـتـي تحـول دون تعريفه تـعـريـفـا دقيقا، أو كما يرغب في ذلك أهـــل المنطق وهـــو أن يكون الـتـعـريـف (جـامـعـا ومـانـعـا). وعـمـلا على تجاوز هذه الصعوبات المعرفية والوظيفية، ولـو نسبيا، فإن المدخل المناسب لتحديد الهوية هو النظر في المعاجم العربية، والنصوص الفلسفية، ومن ثم استخلاص بعض النتائج الأولية التي تعيننا على تعريفه.

أولا: في الاشتقاق

يتفق علماء اللغة العربية على أن لفظ الهوية مشتق من الضمير المفرد الغائب (هو)، ليصبح اسما ومعناه أن يكون الشخص هو نفسه. و(هـــو) اسم إشـارة يحيل إلى (الآخر) ولـيـس إلى (الأنـا). وفي هذا دلالة عـلـى أهـمـيـة العلاقة مع الآخر في كل تحديد أو تعريف أو تعيين للهوية، لأنه يثبت الآخر قبل أن يثبت الأنـا، ولأنه يطلق على الغير في مقابل الأنـا، ولأن الإنسان لا يعرف نفسه إلا إذا عرف غيره.

و لكن هذا المعنى الاشتقاقي للفظ الـهـويـة، لا نعثر عليه في القواميس اللغوية العربية القديمة، والدليل على ذلك هو أنه إذا تصفحنا: قاموس الصحاح لابن حماد الجوهري المتوفى سنة 398 هـ، أي في القرن الرابع الهجري، العاشر الميـلادي، لمعرفة معنى كلمة (الهوية)، فإننا لن نعثر عن أي من المعاني التي نستعملها اليوم، كقولنا بطاقة الهُوية، وكل ما نعثر عليه هو كلمة (هوه) الـتـي شرحها بقوله: (رجل هُوهة بالضم، أي:جبان). ولا يختلف معجم: لسان العرب، لابن منظور (630 - 711 هـ)، أي بداية القرن الثامن الهجري، الرابع عشر ميلادي، عما أشار إليه صاحب: الصحاح، إلا من جهة تقديم أمثلة من الشعر وبعض الأقوال المأثورة. ولكن بعدها بـقـرن تقريبا، نجد: القاموس المحيط للفيروزبادي (729 - 817 هـ)، أي القرن الخامس عشر ميلادي، قد ثبت ما أشار إليه الجوهري، وابن منظور، وأضـاف إليه معاني عديدة، أهمها: كلمة (الهَوية)، التي تعني (البعيدة القعر). ومـع أن هـذه الكلمة بعيدة عـن معنى الـهُـويـة في استعمالنا المعاصر، إلا أنها قـريـبـة مـن حـيـث التركيب، وتتداخل معها،و بخاصة من جهة النطق.

ثانيا: في المعنى الاصطلاحي

والسؤال الذي يطرح نفسه هـو: هـل الـعـرب الـقـدمـاء لم يستعملوا كلمة الهوية؟ للإجابة عن هذا السؤال، يتعين علينا أن ننظر في نصوص المتكلمين والفلاسفة والمعاجم الفلسفية. وإذا كان المجال لا يسمح برصد مختلف الاسـتـعـمـالات، فإن المنهج العلمي يفرض علينا أن نشير على الأقل إلى العناصر الآتية:

- يتفق الدارسون على أن فلاسفة الإسلام قد استعملوا لفظ الهوية، وبخاصة في بابي الميتافيزيقا والمنطق. ومعلوم أن كتب أرسطو المنطقية قد تُرجمت إلى العربية. وأن لفظ الهوية استعمل بطريقتين، الأولى في الإشارة إلى قانون من قوانين الفكر الأساسية وهو قانون الهوية الذي يعبر عنه بالصيغة الآتية: (إن كل ما هو، هو). أو بصياغة رياضية (أ هو أ). ويمكن التعبير عنه بقضية منطقية، فنقول: إذا كانت القضية صادقة فهي صادقة أبدا. واستعمل كذلك في القضية المنطقية التي تتكون من موضوع ومحمول ورابطة. ولـقـد اسـتـعـمـل المترجمون العرب لفظ(هو) للإشارة إلى

فعل الكينونة الذي يربط بين موضوع ومحمول القضية.

– استعمل المتكلمون مصطلح الهوية، ومنهم على سبيل المثال وليس الحصر، الإمام الفخر الرازي الذي استعمل لفظ (هو هو) للدلالة على: « ما يستدعي الاتحاد من وجه والمغايرة من وجه آخر» . كما يراد به ما يبقى دائما ثابتا بالرغم مما يطرأ عليه من تغيرات، وبذلك ندرك أن الهوية تتماثل مع الماهية والتطابق.

– استعمله الفلاسفة، ومنهم الفارابي، وذلك في كتابه: التعليقات، وحدده بقوله: «هوية الشيء وعينيته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المنفرد له، وقولنا إنه هو إشارة إلى هويته وخصوصيته ووجوده المنفرد له الذي لا يقع في اشتراك».

– استعمل في المعاجم الفلسفية، ومنها معجم: التعريفات، للجرجاني الذي عرفه بقوله: «الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق(...). والأمر المتعقل (أي فكرتنا عن الشيء) من حيث إنه مقول في جواب ما هو يسمى ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة، ومن حيث امتيازه عن الأغيار هوية،،،الخ» . ويظهر جليا في هذا التعريف، ارتباط ثلاثة معان متلازمة هي: الماهية، والحقيقة، والهوية، وذلك من خلال الجواب عن السؤال: ما هو؟ الذي يستوجب ذكر ماهية الشيء، أو جوهره، وأن هذا الشيء يجب أن يكون له وجود خارجي يسمى حقيقة أو واقع، وأنه يجب أن يتميز ويختلف عن الآخرين والأغيار وهو ما يسمى هوية. ومن هنا يصح القول أن الهوية : «في الاصطلاح الفلسفي العربي القديم قد استقر ليدل على ما به الشيء هو هو بوصفه وجودا منفردا متميزا عن غيره».

– وإلى هذا المعنى ذهب المعجم المعاصر: المورد الرائد، لمؤلفه جبران مسعود، حيث نقرأ في مادة هوية المعاني السابقة التي أشارت إليها المعاجم القديمة، بالإضافة إلى المعنى جديد وهو المعنى المستعمل في عصرنا، أو أحد المعاني الأساسية المستعملة وهو لفظ : (هُوية) الذي يعني : «حقيقة مطلقة في الأشياء والأحياء مشتملة على الحقائق والصفات الجوهرية: هوية النفس الإنسانية، بطاقة الهوية، منسوبة إلى هو».

– للهوية في التراث العربي لفظ مماثل وهو (الإنية) المشتق من (إن)، وهو حرف توكيد ونصب، ومعناه أن يتأكد وجود الشيء وماهيته من خلال التعريف. وتفيد الإنية ما يتحدد به وجود الشيء فيكون حقيقته وقوامه. وبهذا المعنى، فإن إنية الإنسان هي ما يكون به الإنسان إنسانا سواء بالنظر إليه بوصفه فكرة أو واقعا متعينا ومتميزا عن غيره. وهو ما يؤدي إلى القول إن الإنية ترتبط بما هو جوهري في الإنسان وثابت، ولا يلحقه التغير. وتتحدد الإنية في مقابل الغير، مثلما تتحدد الهوية في مقابل الآخر. وتعني: (الوعي بالذاتية والشخصية). ولقد استعملها ابن سيناء ليصف بها شعوره بذاته المتميزة، والمستقلة عن غيرها، والمتميزة بأصالتها.

«الهَوية» تعني (البعيدة القعر) وهي بعيدة عن «الهُوية» المعاصرة، إلا أنها قريبة من حيث التركيب وتتداخل معها من جهة المنطق

بعد هذا التحديد الأولي، يحق للقارئ أن يطرح هذا السؤال: لماذا هذا المدخل اللغوي في تحديد معنى الهوية؟ وما الهدف منه؟ لا يخفى على أحد مدى الاختلاف في معاني الهوية،و لذا فإن المدخل المناسب هو تدقيق اللفظ في لغته الأصلية، هذا أولا، وثانيا، لأنه من خلال هذا التدقيق، تتحدد جملة من المعاني أهمها: الإشارة إلى صفة التطابق، والعلاقة بالآخر، والصفات المرتبطة بها، وبخاصة الجوهر، والماهية، والتفرد. وتطرح هذه المعاني أهم القضايا والمشكلات الخاصة بمفهوم الهوية، ومنها: ما مكونات الهوية؟ وهل مكوناتها ثابتة أم متغيرة؟ وما علاقتها بالآخر أو الغير؟

مما لاشك فيه، أن هذه الأسئلة تخص عصرنا، ولا تتصل بتلك المعاني المجردة التي صاغها القدماء. والسبب في ذلك هو أنه على الرغم من أن الاستعمال القديم قد ركز على صفة المطابقة، وهي صفة بلا شك أساسية في مفهوم الهوية، إلا أنه قد أعطاها بعدا ميتافيزيقيا ومنطقيا، ولم يهتم بالأبعاد التي يهتم بها عصرنا، وتتضمنها أدبياتنا المعاصرة، ومنها على وجه التحديد البعد النفسي والاجتماعي والتاريخي والسياسي، وذلك بالنظر إلى ارتباط الهوية بالإنسان وبالمشكلات التي يعرفها في عصرنا والتي لم تكن مطروحة في العصور الماضية سواء في العصر الإسلامي أو في غيره من العصور. هذا ما تؤكده معظم الدراسات المخصصة لمفهوم الهوية، والتي تؤكد في غالبيته على أنه مفهوم حديث نسبيا، وأن سبب ظهوره يعود إلى ما تعرفه مجتمعاتنا المعاصرة من ضروب التغير والتحول والتطور وما يتطلب ذلك من الرغبة في التأكيد على الهوية سواء على الصعيد الفردي أو الجماعي أو الوطني أو الإنساني واقترانها بالوعي والانتماء، وهو ما يؤكده حديثنا عن الهوية الشخصية، والهوية الجماعية، والهوية الوطنية وغيرها من الأشكال التي تحتاج،بلا شك، إلى التحليل والمناقشة، وهو ما سنتناوله، بحول الله، في مقالاتنا القادمة.

الهوية مفهوم يتقلب

شذرات من فكر الجابري تركز على أهمية تحديد المفاهيم لمنع الخلط ومعالجة المشكلات

مفهوم «الهوية» من بين المفاهيم الأساسية في النقاشات الفكرية والفلسفية العالمية راهنا، ولاشك أن تحديد هذا المفهوم ضيقا واتساعا، لعب ويلعب دورا محوريا في العلاقات الإنسانية، بين الثقافات والحضارات من جهة، وبين مكونات حضارة واحدة من جهة أخرى. ومن هذا المدخل سنحاول أن نقف عند اجتهادات مفكرين وباحثين من الشرق والغرب، في الماضي والحاضر، محاولين أن نقف عند أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف، راجين أن يتحقق التقارب حول هذه المفاهيم مستقبلا.

د. إبراهيم ياسين

وهنا نقف عند مفكر عربي بارز من المغرب، وهو محمد عابد الجابري، مسلطين الضوء على تصوره، وذلك من خلال كتابه «مسألة الهوية العروبة والإسلام... والغرب».

في المدخل طرح المؤلف سؤالاً: «ما العربي»؟ ليؤكد بأن الجواب سيختلف باختلاف من يطرح عليهم هذا السؤال، و» هم أطراف متعددة مختلفة المصالح والرؤى، مما يجعل من «العربي» مفهوما مصنوعا، صورة تختلف مضمونا وملامح حسب نوع الوعي الذي ترتسم فيه والمكان الذي يضعها فيه».

فتعريف « العربي يختلف بين الأوروبي والعربي، بين العامي وبين المثقف، هنا يضيف:» أن تكون الأجوبة متعددة مختلفة، بهذه الصورة، من الناحية المبدئية شيء طبيعي تماما. ذلك لأن الأمر يتعلق بسؤال حول الهوية. والهوية وجود وماهية. وفي المجال البشري، مجال الحياة الاجتماعية على الأقل، الوجود سابق للماهية دوما، الشيء الذي يعني أن الماهية ليست معطى نهائيا بل هي شيء يتشكل، شيء يصير.».

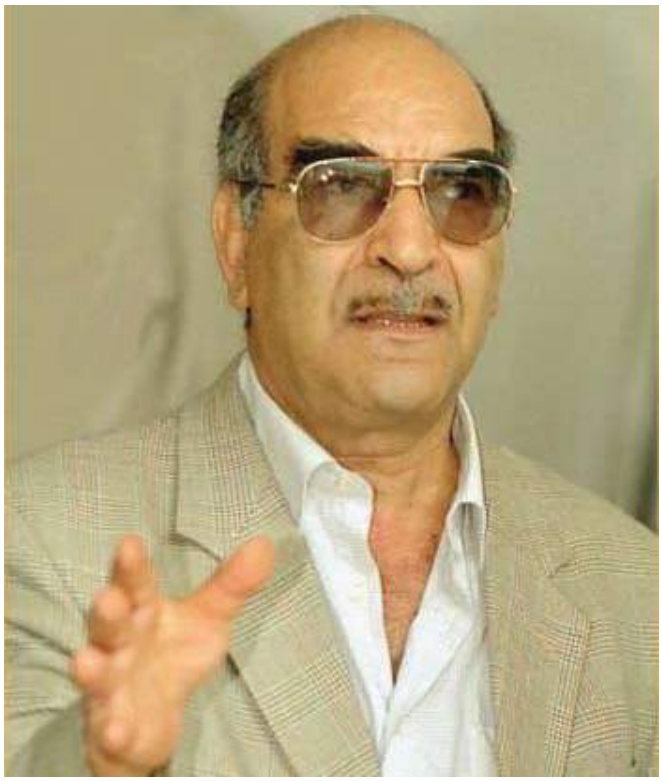

محمد عابد الجابري

ويعود إلى توضيح الفكرة بعد ربطها بمفهوم آخر، هو الوحدة العربية:» ف»العربي» ليس وجودا جامدا ولا هو ماهية ثابتة جاهزة. إنه هوية تتشكل وتصير».

وحول ترتيب العلاقة بين «العروبة» و«الإسلام» بالنسبة للدول المصطلح عليها: الدول العربية والإسلامية، أيهما أسبق في تحديد الهوية: أهو «العروبة» أم «الإسلام» ؟ يعمد إلى الاستعانة تمهيدا، بمفهومين محورين، وهما: «العرب» و»العروبة»، ليتناولهما بالتحليل والمقارنة ما بين التراث والنهضة. مؤكدا أنه: «ليس هناك ما هو أكثر إثارة لسوء التفاهم وخلق المشاكل المزيفة من عدم تحديد المفاهيم، من عدم الاتفاق على قاموس موحد ومرجعية واحدة لغوية معرفية

للخطاب وآلياته ومرتكزاته».

لقد بين أن مفهوم « العرب» يطلق في التراث على سكان الجزيرة العربية ويرتبط بأحداث الماضي، في الوقت الذي يعني فيه مفهوم» العروبة» الفصاحة، ملخصا الأمر بقوله:» واضح من كل ما تقدم أنه لا مجال للمقارنة ولا للمقابلة بين «العرب» و«الإسلام» داخل المرجعية التراثية...» لينتقل بعد ذلك إلى تناول المفهومين في إطار المرجعية النهضوية، حيث تم ربط المفهومين وتحديد أولوية أحدهما على الآخر بتحديد أي الآخرين نقاوم أولا، الأتراك أم الأوروبيين. ويضيف بأننا سنكون معرضين للخطأ إذا اكتفينا بمرجعية واحدة في تحديد المفاهيم المركزية في فكرنا المعاصر، كما يتحدد المفهومان من خلال العلاقة مع أحد في موقع «الآخر»، «إنهما يستمدان كل مقوماتهما من «حاضر» عصر النهضة الذي كان يطبعه الوعي بالذات. والوعي بالذات، كما هو معروف، إنما يكون، أو على الأقل يتبلور ويتعمق، من خلال الدخول في علاقة اختلاف وتغاير ونزاع مع «آخر» معين». فمن هو هذا الآخر ؟ يطرح السؤال، ويجيب: إنه الأتراك وأوروبا في المشرق العربي، على اعتبار أنهما المهددان للوجود العربي ككيان، ضد جمعية «تركيا الفتاة» التي كانت تدعو إلى قومية تركية متشددة،

ثنائية قائمة على اللبس وتعارض مزيف ومصطنع بين العروبة والإسلام

الهوية وجود وماهية، والماهية تتشكل وتصير

في حين كان «الآخر» أوروبا وحدها في المغرب العربي. في الوقت الذي كانت أوروبا بما تحمله من بعد مسيحي جعل «العروبة» و«الإسلام» يتزاحمان ويتنافسان دون أن يكون بينهما صراع أو نزاع، مع اختلاف في من ستكون الأولوية لمحاربته، «وإذا فالتقابل بين «العروبة» و«الإسلام» الذي أخذ يتبلور من خلال هذين الموقفين لم يكن تقابلا ماهويا، فلم يكن الاختيار المطروح أن نختار العروبة أو أن نختار الإسلام، بل كان: أي «الآخرين» يجب أن نقاوم أولا، وبالتالي أي السلاحين يجب أن نحرك في البداية: سلاح العروبة أو سلاح الإسلام؟ فالثنائية إذا لم تكن ثنائية على صعيد الهوية بل كانت على مستوى الأداة التي ينبغي تحريكها للدفاع عن الهوية وحمايتها». وهذه الثنائية كانت حاضرة في المشرق دون أقطار المغرب العربي لأن «الآخر» كان أوروبا وحدها، أي الاستعمار الفرنسي تحديدا، وإن كان الرد مزدوجا: إسلاميا ضد التنصير والتبشير، وعربيا ضد السياسة البربرية.

ويستنتج المؤلف أنه:» إذا أضفنا إلى هذا خلو المغرب العربي من التعددية على صعيد الدين، فجميع السكان مسلمون سنيون مالكيون، أدركنا كيف أصبحت «العروبة» و«الإسلام» في المغرب العربي يحيلان إلى شيء واحد هو الهوية الوطنية» بعد الوقوف على المفهومين: «العرب» و «العروبة» وينتقل الباحث إلى «مفهوم» الإسلام» من خلال المرجعيتين السابقتين: أي المرجعية التراثية والمرجعية النهضوية، ليؤكد بأن المفهوم في المرجعية الأولى عنصر أساسي معناه الانقياد، أما « العرب» و«العروبة»، « فلم يتعامل معهما الخطاب الإسلامي التراثي على أساس أنهما طرف...» ويفسر المسألة بأنه، من منظور المرجعية التراثية لا معنى لوضع «العروبة» في علاقة زوجية ثنائية مع «الإسلام»، وإلا اعتبر الامر طرح بديل من الإسلام أو على الأقل إدخال شريك منافس له.

وفي تحليل دقيق يؤكد أنه ليس هناك أي مفهوم لـ«الإسلام» يمكن وضعه في علاقة ثنائية تعارضية أو تكاملية مع مفهوم» العروبة»، «وليس هناك مفهوم لـ «العروبة» يمكن وضعه في نفس العلاقة مع « الإسلام». وإنما هناك وراء هذه الثنائية قضية سياسية كان لها معنى في وقت من الأوقات، ثم ذابت لتتحول إلى قضية إيديولوجية «مزيفة» لتغطي على قضايا حقة تفضل السياسة السكوت عليها.

ويوضح الباحث زيف هذا التعارض المصطنع، مؤكدا بأن:«ثنائية» العروبة والإسلام» لا معنى لها لا في المرجعية التراثية ولا في المرجعية النهضوية، إنها ثنائية قائمة كلها على اللبس، على عدم تحديد دقيق للمفاهيم».

بعد ذلك يعود محمد عابد الجابري إلى مشروع ميشيل عفلق حول العلاقة بين العروبة والإسلام من مختلف جوانبها، حيث ينطلق عفلق من منطلقين مترابطين متكاملين، أولهما موقفه الإيجابي من الدين، والثاني تلك العلاقة الرابطة بين الدين الإسلامي والأمة العربية، ويتمنى الباحث لو يطلع على هذا الموقف المعتدل كل من القوميين والإسلاميين على السواء.

خلاصة المبحث: يتضح من مجمل ما طرحه الباحث محمد عابد الجابري أن مسألة تحديد المفاهيم، وضمنها مفهوم «الهوية»، يستدعي الرجوع إلى المرجعية، تفاديا لأي لبس، هذا من جهة، ومن جهة يخضع تعريف الهوية وتحديد أبعادها استحضار عناصر متعددة متنوعة منها الزمان والمكان والأنا والآخر... وهو الأمر الذي يدعونا إلى تبني مفهوم مرن منفتح لمفهوم يتقلب وهو» الهوية».

الحرب
غواية التاريخ الكبرى

مصطفى سليمان

تتلخّص فلسفة الكون والحياة الإنسانية في صيرورة دائمة للجدلية أو الديالكتيك: الكون والفساد. البداية والنهاية.. النور والظلام. كواكب تنشأ، وأخرى تفنى متفجّرةً أو متهاويةً في اللغز الأعظم اللانهائي؛ الثقب الأسود مقبرة الكون الخارجي. وهناك الخير والشر. الفضيلة والرذيلة. والحرب والسلام... حضارات تنشأ في ظل السلام، وتتطوّر ثم تبلغ الذروة من التقدم ثم تنحدر وتسقط ... لأسباب سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وعرقية... وعسكرية !

فهل ستبقى جدلية الحرب والسلام خالدة ؟ وهل سيأتي يوم يحلّ فيه السلام الدائم ؟ أم أن الحروب ستبقى في صراع أبدي مع السلام؟ أين الدين والفلسفة من كل ذلك؟ وما موقع الكويت بين هذه الجدلية؟

لعل أقدم مرحلة سلام في تاريخ البشرية هي مرحلة (الإقامة المؤقتة) لأمنا وأبينا آدم في الفردوس الأعلى. لكنّ بعد خلق آدم وحواء بدأ التوتّر: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ«قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ». البقرة 30

وكذلك لعل أقدم مرحلة حرب هي التي شرّع لها إبليس ملتمساً من ربه أن يمنحه فرصة إثبات عدوانية مخلوق الطين؛ آدم ثم ذرّيته : ((قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ)) الحجر:40

والغوايات متنوعة المشارب، متعددة المذاهب. والحرب من الغوايات الكبرى التي تدمر الحضارات، رغم أن هناك بعض المفكرين والمؤرخين، كالعقاد وأرنولد توينبي، ممن يرى لها فضائل وأخلاقيات. لكن الإنسان العسكري العدواني بلا أخلاق، وليس من طينة البشر. أما العباد المخلَصون فهم روّادُ السلام المضادون للعسكرتاريّين. فقابيل وهابيل هما أول (جدلية – ديالكتيكية) بشرية بين الحرب والسلام، من منظور ديني، فهناك بدأت أول حرب، وتمّ سفْكُ أول دم بشري .

في الكتاب المقدس(العهد القديم) تطالعنا الحرب، ومشاهد سفك الدماء بين الشعوب بفعل سيطرة نزعة توراتية أسطورية عنصرية توسعية عند بني إسرائيل، لا تمت إلى روح الديانة السماوية اليهودية بصلة. فالرب عندهم: (يهوه- رب الجنود) إلهُ حربٍ كإله الحرب الروماني (مارس) الذي يمنح النصر لجنود الرومان ويفتك بأعدائهم. وربُّ الجنود التوراتي إلهٌ إمبراطوري عنصري توسعي ؛ فهو يَعِد بني إسرائيل بأراضي الغير، واستحلال دمائهم وأملاكهم ونسائهم وأطفالهم. فهم (شعب الله المختار) الذي سخّر لهم إلهُهم كلّ شعوب الأرض لخدمتهم: « ثم كلّم الرب موسى قائلاً: أرسِلْ رجالاً ليتَجَسّسوا أرض كنعان التي أنا معطيها لبني إسرائيل...» (مطلع الإصحاح الثالث عشر من سِفْر العدد). يقول (ول ديورنت) في كتابه قصة الحضارة : «أصبح (يهوه) في أيديهم القوية إلهاً للجيوش يدعو للفتح والاستعمار، يحارب من أجل شعبه بنفس القوة التي كان يحارب بها آلهة الإلياذة».

أما القتل الجماعي في المدن المفتوحة فنقرأ عنه في سفرالتثنية، الإصحاح 20:» حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدْعِها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفُتِحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير، ويُستعبَد لك، وإن لم تسالمك بل عملتْ معك حرباً فحاصرْها، وإذا دفعها الربُّ إلهُك إلى يدك فاضربْ جميع ذكورها بالسيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة، كل غنيمتها، فتغنمها لنفسك».

أين ذلك من موقف النبي صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة من أعداء الأمس القرشيين، الذين عذّبوا أتباعه، وأهانوه وأخرجوه من موطنه وبيته، وأبعدوه عن أهله: « اذهبوا فأنتم الطلقاء».

الشواهد التوراتية الأسطورية كثيرة، ويمكن للمهتم بقراءة العهد القديم أن يقف على هذه النزعة العسكرية الحربية التوسعيّة التي لا تزال موروثة في اللاشعور الجمعي لبني « إسرائيل» المعاصرين، إلا قلّة من اليهود المتنورين على المستوى الفردي والجماعي مثل حركة (ناطوري كارتا) المناهضة للحركة الصهيونية، والرافضة لقيام دولة دينية

لابد للحق من قوة تنتصر له فالباطل لا يذعن إلا للقوة

الدولة كالشخص الذي له وحده حق التصرف في نفسه

لليهود لأنه حُكِم على شعب بني إسرائيل بعد خراب الهيكل بالشتات، وباعتبار الدولة الدينية لهم مناقضة لمشيئة الرب.

أماعلى المستوى الفردي فهناك، على سبيل المثال، مواقف الفيلسوف الأميركي الأشهر في عدائه للصهيونية، عالم اللسانيات الأول في عصرنا : نعوم تشومسكي.

وفي الكتاب المقدس (العهد الجديد) نتعرف على فلسفة السلام والتسامح المعهودة في تعاليم المسيحية عبر جميع الأناجيل بما هو مشهور ومتداوَل، من ذلك قول المسيح (عليه السلام): « سمعتم أنه قيل : عينٌ بعين وسنٌ بسن. وأما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر، بل مَن لطمك على خدك الأيمن فحوّلْ له الآخر أيضاً .» / إنجيل متّى، الإصحاح الخامس: 38. 39

إذن، لا بد للحق من قوة تنصره . وهذا ما أكّده المؤرخ الإسكتلندي الشهير توماس كارلايل في كتابه (البطل في التاريخ) حيث رد الاتهامات الموجّهة لانتشار الإسلام بالسيف داعياً إلى منح الفضيلة فرصة لتحقيق ذاتها ولو... بحد السيف. لكن غاندي اعتمد سياسة (الساتياغراها) أي اللاعنف في تحقيق النصر على العدو.

نعم. للحق أن يمتلك المخالب والبراثن من أجل النصر في مواجهة الباطل الذي لا يذعن إلا للقوة، كما في إخراج قوات

إلغاء الجيوش الدائمة حلم فلسفي إنساني على مرّ الزمان

الغزو العراقي من الكويت بالقوة، إذْ لم يذعن ساسة العراق لنداء العرب والعالم كله بالانسحاب من الكويت لتجنيب العراق وشعبه الدمار والخراب، وإفساد العلاقات العربية والدولية.

الفيلسوف الألماني (إيمانويل كَنْت) في كتابه الرائد : مشروع للسلام الدائم، المنشور عام 1795يقول: «إن الشعوب المتمدنة مازالت في علاقاتها الدولية على حال من الهمجية والانحطاط البهيمي؛ فما فتِئت الحرب هي الملجأ الوحيد للحق. ومع ذلك فإن النصر لا يحسم مسألة الحق» : وهذا موقف فلسفي لا تؤيده شواهد كثيرة من وقائع التاريخ.

لذلك تثير الجدلية- الديالكتيكية بين الحرب والسلام، إلى جانب المنظور الديني، قضايا فلسفية كثيرة، وبخاصة ما يتعلق منها بالأخلاق حيث يتماهى علم الأخلاق، بالفلسفة، بالدين،

بالقوانين الدولية... بعلم دراسة الإنسان (الإنثروبولوجيا)... ويرى (كَنْت)، في كتابه(تأسيس ميافيزيقا الأخلاق) أننا نسيئ إلى الأخلاق إساءة بالغة عندما نستخلصها من أمثلة تجريبية.

إلا أن الأمثلة التجريبية التاريخية للحروب البشرية(موضوع مقالتنا) تؤكد عكس ما يقوله هذا الفيلسوف؛ فالشعب الياباني، مثلاً، مرّ بتجربتين جدليتين : التوسّع الإمبراطوري الإمبريالي وما رافقه من همجية عسكرية يابانية . والعيش في ظل السلام، بعد الاستسلام، حيث اللطف والكياسة ومحبة السلام والتعاون الدولي.

هذه الظاهرة ثير تساؤلات حائرة: هل الإنسان بفطرته المتوارَثة كائن متوحش، همجي، تسيِّره الغرائز في غيبوبة من ضوابط العقل، فتظهر همجيته في الحروب، وفي حلبات الرياضات المتوحشة كحلبات رمي المسيحيين الأوائل للأسود الجائعة بحضور الإمبراطور الروماني الوثني، وسط تهليل المتفرجين وابتهاجهم بالفتك الشنيع بإنسان مثلهم ؟ أوفي حلبات الملاكمة، والمصارعة الحرة، حيث تزأر الهمجية الدفينة الموروثة مما يؤدي إلى الموت أحياناً وسط تهليل هستيري من الجمهور، رجالاً وأطفالاً ونساء! وماذا عن مصارعة الثيران الدموية؟ إن تلك الرياضات نوع من الحروب التي تطرب لها أعماق الإنسان البدائية عندما كان، ولا يزال، يقتل ويأكل لحم أخيه...حياً وميتاً !.

وسؤال آخر: هل الإنسان بفطرته مسالم لا يحب العدوان والقتل وسفك الدماء لكن النزعة «العسكرتارية» الهمجية تفلسف ذاتها بأنها تضحية وشرف وفداء؛ فتثير في العسكر كوامن الفطرة المتوحشة ؟. كل ذلك يحدث بمعزل عن المنظومة الأخلاقية، أومحكمة الضمير، أو النزعة القومية بين أبناء الجنس الواحد، أو النزعة الإنسانية الشاملة.

في تاريخ العرب الحديث نشبت حروب معاصرة دامية بين الأخوة الأعداء بعيداً عن المنظور الديني والفلسفي، بل وفق منظور (قومي) شوفيني،

وهـذه الحـروب جعلت الأمة العربية تعود إلى تـأثير، بل سيطرة، التدخّلات الأجنبية في قرارها الوطني السيادي، بطريقة أو بأخرى. ولا يزال العراق الذبيح، والعرب عموماً في أكثر من قطر، يغوصون في غمار سكرات تلك الكارثة القومية الكبرى منذ الاحتلال العراقي لدولة الكويت.

فدولة الكويت المسالمة عبر التاريخ، هي النقيض الديالكتيكي للنزعة الحربية العدوانية عند الشقيق الأكبر : قابيل العراقي!

فما أشبه قابيل وهابيل في التراث الديني بقابيل وهابيل في التراث القومي العربي المعاصر! فلنتأمل قصتهما القديمة في القرآن الكريم «وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ سورة المائدة .

لم تبسط الكويت يدها مرة لتقتل أخاً أو شقيقاً. بل لا بدّ من أن الله يتقبل من يدها المبسوطة لتقديم قرابينَ الخير، على المستويين القومي والإنساني؛ لأنها تخاف الله رب العالمين، لذلك لم تكن ولن تكون يوماً من الخاسرين!

ومنذ مطلع القرن التاسع عشر كان للكويت علاقات وثيقة مع عديد من الدول الكبرى مثل بريطانيا وروسيا وألمانيا وتركيا، فاحتلت مكانها بين تيارات صراعات الدول الكبرى حين وصفها بعض الكتّاب بأنها « شوكة حقيقية» في النزاع الدائر بين هذه الدول.

وكان جوهر موقف بريطانيا في صراعها مع الأطراف الأخرى يتركز في الدفاع عن الهند في مواجهة التهديدات الفرنسية والروسية.

هذه هي (لعنة الجغرافيا)؛ فالموقع الجغرافي الاستراتيجي لدولة الكويت، كما هو واضح من الخرائط التاريخية، وما في باطن هذا الموقع من ثروات، جرّ عليها طمع الطامعين، فاستسهلوا ابتلاعها لكنها، كما وصفها بعض الكُتّاب، «شوكة حقيقية» في حلوق النزاع بين الدول، حيث تدمى تلك الحلوق عند محاولة ابتلاعها.

ثم ماذا بعد؟ هل هناك من أمل للبشرية في أن تنتهي الحروب ويحل السلام الدائم؟

هنا ألجأ إلى كتاب فريد للفيلسوف (كنْت) وهو (مشروع للسلام الدائم). وفيه مشروع – حلم سياسي عالمي إنساني، لفيلسوف عُرف بفلسفته التجريدية الصعبة، كما في كتابَيه : نقد العقل المجرّد. ونقد العقل العملي. وكان الرئيس الأمريكي(ولسُن) يقرأ هذا الكتاب باستمرار ضمن قراءاته اليومية. وقد وضع (كنْت) مصطلح (عصبة الأمم) لأول مرة باللغة الألمانية، لكن العالَم نسبه إلى الرئيس(ولسُن) الذي دعا بعد الحرب العالمية الأولى إلى إنشاء عصبة الأمم التي صارت بعد ذلك : منظمة الأمم المتحدة الحالية.

في كتاب (كنْت) تفاصيل وخطط مذهلة سبّاقة لتصوّر منظمة عالمية تقودها الشعوب لإنهاء الحروب، وإرساء السلام الدائم. وسأقف عند بعض البنود التي تهمنا هنا :

–1 إن معاهدة من معاهدات السلام لا تُعَد معاهدة إذا انطوت نية متعاقديها على أمر من شأنه إثارة الحرب من جديد؛ لأن مثل هذه النية المكتومة تجعل من المعاهدة هدنة لا أكثر. أما السلام الحق فيجب أن يقضي على كل احتمال لوقوع حرب.

–2 إن أي دولة صغيرة كانت أو كبيرة لا يجوز أن تملكها دولة أخرى (قارن مع ضم العراق للكويت) بطريق الميراث أو التبادل أو الشراء أو الهبة؛ لأن الدولة كالشخص الذي له وحده حق التصرّف في نفسه. وليست الدولة متاعاً وإنما هي جماعة إنسانية لا يحلّ لأحد سواها أن يفرض سلطانه عليها أو يتصرّف في شؤونها.

–3 يجب أن تُلغَى الجيوش الدائمة على مرّ الزمان!. (هذا حلم فلسفي إنساني !)

–4 يجب ألا تُعقَد قروضٌ وطنية من أجل المنازعات الخارجية للدولة؛لأن هذه القروض، فضلاً عن تيسيرها قيام الحرب، فإنها تؤدي عاجلاً أو عاجلاً إلى الإفلاس.(لنتذكر هنا سياسة الحرب الباردة وفلسفة سباق التسلح، والمعارض الدولية للسلاح الحديث، والسوق العالمية، الرسمية والسرية، لبيع الأسلحة بالمليارات على حساب ميزانيات الدول للتنمية والتقدم).

–5 يُحظر على أي دولة أن تتدخل بالقوة في شؤون دولة أخرى أو في حكومتها.

–6 لا يُسمح لأي دولة في حرب مع دولة أخرى أن ترتكب أعمالاً عدائية، كالقتل المتعمّد والتسميم (لنتذكر الغازات السامة في العراق وسورية)، ونقض شروط التسليم، والتحريض على الخيانة، فقد يكون من شأنها، عند عودة السلم، امتناع الثقة المتبادلة بين الدولتين؛ لأن الغرض من الحرب هو إقامة السلام على أسس أرسخ وأبقى.

هل هذه أحلام أو طوباويات فيلسوف ميتافيزيقي، أفلاطوني، فارابي... أو مشروع عقلاني موضوعي لمفكّر إنساني يحب السلام والعدالة، وتأسيس حضارة إنسانية بلا حروب وسفك دماء ؟ وهل يا ترى يمكن قيام عالم بلا جيوش؟ بلا حروب؟ بلا سفك دماء بيد الأخوة الأعداء؟ ربما يكون الجواب عند (إبليس)! وربما يحدث هذا في «اليوم التالي» لحرب نووية مدمّرة للجميع!

هويتي

د. بهيجة مصري أدلبي

بيني وبينكم

سلامٌ يا كويت

أعزائي الأطفال

لقد خلق الله تعالى الإنسان لكي يكون خليفة على الأرض، من أجل لأن يعمرها، بعمله الصالح، لكي تكون الأرض بيتا للسلام ، وبيتا للأمان.

ومن أجل هذا أرسل الله الأنبياء برسالات سماوية، كي يبينوا للناس طريق الحق ويرشدوهم إليه، ليبتعدوا عن طريق الضلال والظلام، لأن طريق الحق هو الطريق الذي يجعل الناس على هذا الكوكب متحابين ولا يعتدون على بعضهم، أما طريق الضلال فهو طريق الشيطان الذي يوسوس للإنسان، كي يوقعه في المعصية، وإذا استمع الإنسان لغوايات الشيطان، يصبح مثل الأعمى يمشي دون أن يعرف طريقه، فيفسد في الأرض ويعتدي على الآخرين.

لذلك أوصانا الله تعالى في قرآنه الكريم فقال» ولا تعتدوا إن الله لايحب المعتدين»

ولهذا أوصيكم بأن تكونوا متحابين، وأن تجعلوا سبيل الخير سبيلكم، وأن يكون عملكم من أجل سعادة الآخرين، ومن أجل أن يكون الوطن آمنا، لأن أمان الوطن، هو أمانكم، ولأنكم أنتم مستقبل الوطن، وأنتم أملنا كي يكون عالمنا أجمل، كإبتسامتكم، التي تطل علينا كل صباح كما يطل الفجر،

سلام عليكم، وسلام على الوطن الحبيب

أخي الإنسان

أخي الإنسانْ أخي الإنسانْ
طريق الحب يجمعنا
ونور القلب يرفعنا
إلى الإيمانْ إلى الإيمانْ

■■■

أخي الإنسان مدّ يداً
أمدُّ يدي
لنفتح للقلوب مَدىً
لخير غد
لنبني لا تفرقنا هَنا الألوانْ

■■■

أخي الإنسان هذي الأرض خضراءُ
تعال نضمها بالحب
حتى يطلع الماءُ
نغني للسلام نغني للأمل
نعانق غيمة الأحلام بالعمَلِ
تعال الآنْ تعال الآنْ

■■■

تعال نقول لا للجوع
لا للحرب والإرهابْ
ونغلق في وجوه الحرب
أبوابا على أبوابْ
لأن الحرب
تأكل حلمنا الأخضرْ
وتحرق سنبل البيدرْ
تعال تعالْ أخي الإنسانْ
لنبني بيتنا بأمانْ
لنبني بيتنا بأمانْ

❖ عامر الدبك

أنا الشهيد وهذه هويتي

الشهيد الشاعر فائق عبد الجليل

❖ هشام سيف الدين

أنا الشهيد فائق محمد علي العياضي يعرفني الناس باسم فائق عبد الجليل نسبة لخالي الذي تولى رعايتي، ولدت في وطني الكويت عام ١٩٤٨ ، بدأت حياتي رساما، إلا أنني لم أجد موهبتي في الرسم، بل وجدتها في كتابة الشعر،حتى أصبحت شاعرا مشهورا..

كتبت الشعر الشعبي والشعر الفصيح، لأعبر عن انتمائي إلى وطني الكويت وإلى أمتي العربية، كما كتبت لكم أيها الأطفال شعرا كنت أنشره في مجلة سعد، وترجمت بعض قصائدي إلى اللغة الفرنسية، وتم تدريسها في الجامعات، وقالوا عني منذ يفاعتي إن ما يميز شعري هو ارتباطه بالوطن وصدقه في التعبير فالذي جعلني مشهورا ومتميزا هو صدق الانتماء إلى الوطن، اقرأوا مطلع قصيدتي التي أعبر فيها عن هذا الانتماء :

بسم الله احنا كويت الأسرة الوحده بسم الله واحنا جسر الماضي ومجده
نمشي ونهتف عاش البيت.. البيت اللي سموه الكويت

صحيح أن الشعر جعلني مشهورا إلا أن الوطن جعلني خالدا في قلوب الجميع وفي جنان النعيم.

أنا لم أتقن حمل السلاح كما يتقنه أبطال وطني الذين قاوموا الاحتلال، إلا أنني كنت أتقن المقاومة بالكلمات، كي أشد من عزيمة الوطن، وأزرع في قلوب الناس التصميم على المقاومة حتى النصر، وكانت كلماتي تخيف ذلك الطاغية الذي أرسل جيشه الغاشم ليغتصب وطني . أعرف أنكم تتمنون أن تقرأوا بعض تلك القصائد، اقرأوا معي هذه القصيدة

حيّ التراب اللي رفض كل احتلال حيّ الشباب اللي انتفض
باسم النضال حيّ الطفل اللي لفظ كلمة وقال حيّ الصمود
حيّ الكويت حيّ الرجال

ولأن قصائدي كانت تخيف ذلك الطاغية أسرني، وأطلق علي الرصاص، كي يقتل الكلمة الصادقة، لكن يا أحبائي الأطفال، الكلمة لاتموت، والشهداء لايموتون، لذلك اندحر ذلك المغتصب، واندحر الاحتلال الغاشم وبقي الوطن جميلا كعيون الأطفال، ليبقى وطن الحب والسلام، ورمزا للإنسان في كل مكان وزمان.

لا تعتدوا

الأرض للجميعْ بيتٌ من الحنانْ
بالحب نستطيعْ أن نرفع البنيانْ

❖❖❖

لا تعتدوا فالله قد قال في القرآنْ
تعاونوا بالبرْ وليس بالعدوانْ
لا تفسدوا في الأرضْ يا أيها البشرْ

❖❖❖

فبعضكم من بعضْ كالماء في النَهَرْ
كونوا كما الطيورْ تعانق الشجرْ
كونوا كما السحابْ يفيض بالمطرْ

قاموس هويتي

اعتدى

أعزائي الأطفال، سنتوقف في هذا العدد عند معنى كلمة اعتدى، ولاشك كلكم تعرفون معناها،إلا أننا نحاول أن نذكركم بهذا المعنى، فالاعتداء هو الظلم، الذي يتجاوز الحد، وجاء في القاموس معنى كلمة العادي: هو الظالم، و قولُ العَرَب فلانٌ عَدوٌّ فلانٍ معناه فلان يعدو على فلان بالمَكْروه ويَظْلِمُه.

واعتدى فعل ماض مضارعه يعتدي، ومصدره اعتداء، وكل من يحاول أن يأخذ شيئا ليس من حقه فهو معتدي، وظالم، والعدوان والإعتداء قد يكون من شخص على شخص، وقد يكون من جماعة على جماعة كما كان يحدث قديما في قبائل العرب قبل أن يأتي الإسلام، وقد يكون اعتداء دولة على دولة فتكون الحروب، وهذا ماحدث في العدوان الغاشم الذي اعتدى فيه نظام ظالم ورجل ظالم كان يحكم دولة العراق الشقيقة على دولتنا ووطننا الحبيب، فما كان من أبناء هذا الوطن إلا أن دافعوا وضحوا بأرواحهم من أجل أن يحرروا وطنهم من ذلك العدوان الغاشم.

هواها فاتحة القلب

شعر / مسفر الدوسري

تحب تاخذني
من الكل
بس تخلّي « مني »
للي
يحسبوني : صورتي !
يؤمنون
ويأمنِّون

لا صار هواها
فاتحة قلبي
ورضاها
لو غفلت بالعَمد
أتمه،
ما أتَمّم ...
سُورتي!

الطيبين
اللي معاي
يشاركوني
رسمها بألواني
وفرشاتي
وسبورتي !

مدينة الكويت

الهوية عبر عشرين عاماً

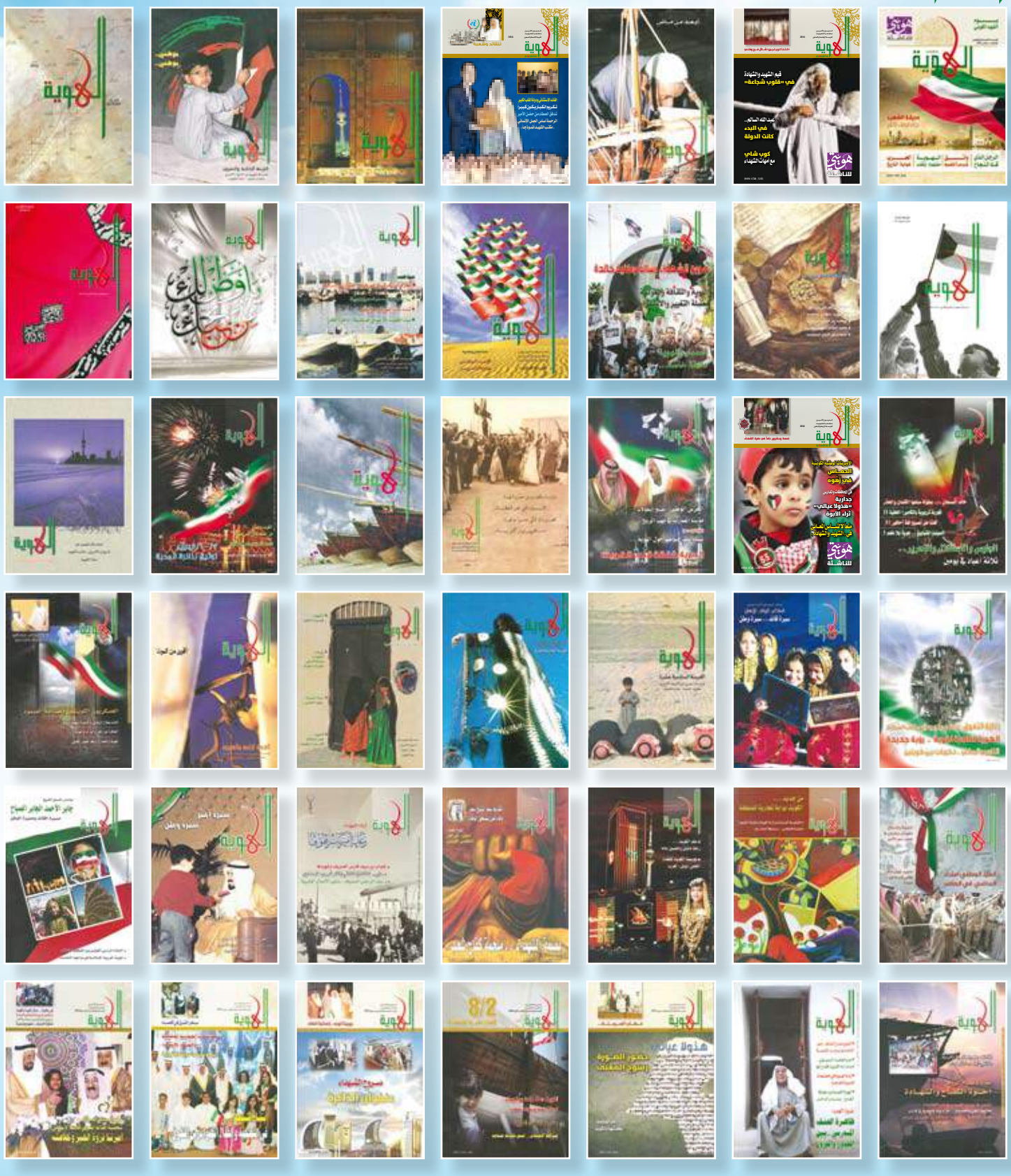

الآن .. يمكنكم تصفح مجلة الهوية على الموقع www.martyr.com.kw

مكتب الشهيد - الديوان الأميري - ضاحية مبارك العبدالله - قطعة 7 - شارع 5

ص.ب: 28717 الصفاة رمز بريدي 13158 الكويت

تلفون: 1888101 - فاكس: 25392713